# دعوة الحق




بقلم

الشيخ محمد سويد

السنة السابعة - العدد ٧٢ - ربيع الأول ١٤٠٨هـ - أكتوبر ١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم



## الاهـــداء

إلى الأجنحة القوية الناشرة ظلالها على الذرى .

إلى السواعد السمراء المفتولة ، المستحمة بزيوت المعامل ، المضمخة بدخان المصانع .

إلى رواد الفضاء الكامنين فى ضمير الغيب من أبناء أمتى العربية فى غد مشرق قريب أقدم هذا المشعل .

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله واصحابه والتابعين ، وبعد :

كثيرون هم الذين تساءلوا والذين هم فى طريق التساؤل : ما رأى الأديان الباسطة أيديها ، الشاخصة أبصارها إلى السماء ضارعة شاكرة لله ، مسبحةً بحمده مقدسةً له فى ملكوته ؟ ما رأيها الآن وقد اقتحم الإنسان آفاق الفضاء فولجها وقرّب أبعادها

أجل ، ما أكثرهم أولئك الذين مطُّوا شفاههم استخفافاً بعد أن اخترق بعض حجبها الكثيفة ، وكشف بعض أسرارها الخفية نفرٌ من عباد الله الأرضيين ؟

هذه الأسئلة تجد جوابها فى القرآن الكريم الذى أشار إليها منذ أربعة عشر قرناً قبل أن تراود خيال المتسائلين لتستقر حائرةً على وجوههم وشفاههم ، فالتمنى على الإنسان : لو يدرك مواقع النجوم ، والدعوة إلى التفكير فى خلق السموات والأرض ، ووصف ما فى السماء من بروج وكواكب ، وشموس وأقمار وظلمة وشواظ من نار ، ونحاس كل هذا ليس عبثاً ، قال تعالى : ﴿**وتلك**

**الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلّا العالمون﴾**[1] .

إن الفضاء وما فيه ظاهره وباطنه لم يكن يوماً سراً مغلقاً ولم تكن يوماً مقراً لله ومستودعاً لأسراره فهو اله فى السماء والأرض وفى كل زمان ومكان وهو خالق الزمان والمكان (ليس كمثله شيء) ولكن الإنسان بفطرته اعتاد أن يكرم من هو أعظم منه برفع مكانه وإعلاء مرتبته ، وأى مكانٍ أرفع من السماء رمزاً لتمجيد الله وتعظيمه ؟

إن السماء والأرض وما فيهما وبينهما صفحتان من صفحات الطبيعة الرائعة ، ذلك الكتاب الذى أتقن الخالق القدير صنعه ، ودعا الإنسان إلى المتعة به بما حباه من عقل وتفكير .

فإلى المتسائلين والحائرين جميعاً أتوجه بهذه الرسالة جواباً على تساؤلهم ودليلاً لحيرتهم والله حسبى ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين .

**محمد سويد**

---

(١) العنكبوت : ٤٣ .



# الباب الأول

# حول القرآن ومحمد والعلم

# القرآن الكريم ومحمد ﷺ

إن القرآن الكريم هو معجزة الله ، وخاتم رسالاته إلى خلقه ، حمله محمد رسول الله ﷺ إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وحسبنا ونحن نبحث بعض الآيات الكونية فى هذا الكتاب العظيم أن نقدم ما كتبه العالم الأمريكى «مايكل هارت» فى كتابه «المئة الأوائل» حول محمد والقرآن ، والذى ترجمته إلى العربية مجلة «العربى» الكويتية فى عددها الصادر فى شهر كانون أول سنة ١٩٧٨ حيث كتب رئيس تحريرها الأستاذ أحمد بهاء الدين يقول : «لقد أخذ الكاتب على عاتقه مهمة مستحيلة لسببين :

أولاً : لكونه أراد أن يحدد من يعتقد أنهم أهم مئة رجل فى التاريخ الإنسانى كله منذ آدم حتى اليوم شاملاً كل المجالات من سياسة وحرب وعلم وأدب وفن وفكر واختراع .

ثانياً : لكونه رتب المئة بحسب أهميتهم الأول : فلان ، والثانى فلان ، والثالث وهكذا .. ويضيف الأستاذ بهاء أما المؤلف فهو (مايكل هارت) الأمريكى التبعة ، رجل العلم المتخصص فى علوم الفضاء والأقمار الصناعية والصواريخ ، يحمل شهادة فى الرياضيات من جامعة (كورنيل) وشهادة فى القانون من جامعة (نيويورك) وشهادة فى الفيزياء من جامعة (أويلنى) ودكتوراه فى الفلك من

جامعة (برنستون) وقد عمل فى أبحاث الفضاء العسكرية فى (ميريلاند) وفى المركز القومى لدراسات طبقات الجو فى (كولورادو) وفى أكبر مرصد للأفلاك فى (كاليفورنيا) وهو الآن مسؤول علمى عن التطبيقات العلمية لعلوم الفضاء فى (ميريلاند).

يقول «مايكل» فى كتابه: «إن اختيارى محمداً ليكون الأول فى قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد فى التاريخ كله الذى نجح أعلى نجاح على المستويين الدينى والدنيوى، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمةً ولكنهم ماتوا دون اتمامها كالمسيح فى المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليها سواهم كموسى فى اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذى أتم رسالته الدينية كاملة وتحددت كل أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها فى حياته، ولأنه أقام إلى جانب الدين دولة جديدة، فإنه فى هذا المجال الدنيوى أيضاً وحدّ القبائل فى شعب، والشعوب فى أمةٍ ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها فى موضع الانطلاق إلى العالم أيضاً فى حياته، فهو الذى بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمها، وان معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا فى قلب أحد المراكز الحضارية فى العالم، ولكن محمداً هو الوحيد الذى نشأ فى بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماماً من كل مقومات الحضارة والتقدم، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس والروم وبيزنطية المتقدمة بما لا يقاس، وفى تاريخ الغزو فى كل زمان ومكان يكون الغزو عسكرياً، ولكن فى

حالة الرسالة المحمدية فإن معظم البلاد التى فتحها خلفاؤه استعربت تماماً وتغيرت لغة وديناً وقومية من العراق وسوريا ، إلى آخر الشاطىء الإفريقى غرباً ، إلى السودان جنوباً وبقيت أمة واحدة تتكلم لساناً واحداً إلى الآن فهناك اليوم وبعد ألف واربعمائة سنة ، خمسمائة مليون مسلم بينهم حوالى مئة وخمسون مليون عربى ، وهو معيار فى قياس أثر الرسالة أى استمرارها الزمنى وثباتها ليس له مثيل فى تاريخ الفتح فى العالم ، كذلك لا يوجد نص فى تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد ، وبقى بحروفه كاملاً دون تحوير كل هذا الزمن سوى القرآن الذى نقله «محمد» الأمر الذى لا ينطبق على التوراة مثلاً أو الانجيل ، هكذا نجد أن فتوحات العرب التى بدأت فى القرن السابع الميلادى قد بقيت تلعب دوراً هاماً فى التاريخ الإنسانى حتى يومنا هذا ، ومن أجل هذا النفوذ الدينى والدنيوى فإننى وجدت أن محمداً هو صاحب الحق الوحيد فى أن اعتبره صاحب أعظم تأثير على الاطلاق فى التاريخ الإنسانى» .

يقول أحمد بهاء الدين : وكان من الطبيعى أن يشرح المؤلف المسيحى للقارىء الأمريكى المسيحى لماذا وضع محمداً فى المرتبة الأولى والمسيح فى المرتبة الثالثة فقال «مايكل» «أن أول سبب هو أن المسيحية بعكس الإسلام لم تقم بجهد رجل واحد مثل محمد بل قام بالجهد اثنان عيسى و «بولس الرسول» ، فالمسيح فى رأيى هو الذى وضع القيم الأخلاقية الأساسية للمسيحية وأفكارها الأساسية عن السلوك الإنسانى ولكن الفقه المسيحى صاغة وفصله «بولس الرسول» كما أن بولس الرسول أضاف إلى ذلك فكرة «قدسية

المسيح» التى لم يقل بها أحد قبله ، كذلك فإن بولس الرسول هو الذى كتب جزءاً كبيراً من العهد الجديد وهو الذى كان أقوى معبر ومبشر بالمسيحية فى القرن الميلادى الأول .

لقد مات المسيح فى سن صغيرة نسبياً (ستة وثلاثون عاماً) ولم يترك بعده سوى عصبة قليلة من الأتباع والتلاميذ ، مات المسيح وأتباعه ليسوا أكثر من فرقة صغيرة من فرق اليهودية ولكن «بولس» هو الذى ناضل فى الدعوة وجمع الأنصار وتوجه بها إلى اليهود وغير اليهود أى إلى كل البشر ، وبهذا نمت وأصبحت احدى الديانات الكبرى فى العالم «وبولس الرسول» هو الذى أسس الكنيسة بالمعنى الذى عرف بعد ذلك» .

ويضيف «مايكل» كما أنه لا يمكن أن ينسب إلى المسيح مسؤولية كل أعمال المسيحيين خصوصاً حروبهم المذهبية الرهيبة واضطهادهم لليهود ، فإنه ليس صحيحاً بالمثل القول بأن النهضة العلمية أثر من آثار المسيحية لمجرد أن النهضة العلمية ظهرت فى أوروبا المسيحية ، بل على العكس فقد اقترن تحوّل أوروبا إلى المسيحية بهبوط ذريع فى حرية العلم والتفكير العلمى ، أما قيام الثورة العلمية فى أوروبا فهو دليل على أن شيئاً ما فى تراث أوروبا الثقافى هو الذى ساعد على ذلك ، هذا الشىء لا يرجع إلى تعاليم المسيح ، ولكنه يرجع إلى العقلية الاغريقية التى جسدها ارسطو وأتباعه ، فالثورة العلمية والفكرية جاءت مع عصر النهضة «الرنيسانس» وليس مع انتشار المسيحية» اهـ .

لقد نقلنا إلى القارىء الكريم بايجاز بعض ما كتبه العالم والمفكر

الأمريكى «مايكل هارت» عن محمد ﷺ والقرآن لنشير إلى المنظار الجديد الذى بدأ المثقفون الغربيون ينظرون من خلاله إلى الإسلام ونبى المسلمين.

إن القرآن الكريم الذى أنزله الله على محمد ﷺ هو المعجزة الأولى التى تحدى بها فصحاء العرب وبلغاءهم ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرا**﴾ [1] ، أما مايفتريه بعض الحاقدين من أعداء الإسلام من نسبة القرآن إلى محمد ﷺ حيث يقولون : هو من عنده ، ففى ما قدمناه على لسان واحد منهم الرد الكافى ونضيف إلى ذلك بأن العادة والعرف والمنطق تحتم على الكاتب الذى يترك أثراً نفيساً كهذا أن يقول هو من عندى ولكن محمداً قال هو من عند الله ﴿**إنْ هو إلّا وحى يوحى**﴾ [2] ، ﴿**قل إنما أتّبع ما يوحى إلىّ من ربى هذا بصائر من ربكم وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون**﴾ [3] ، ثم ما الذى ألجأ محمداً إلى أن يسجل فى كتابه ـ حسب زعمهم ـ إشاراتٍ ومواقف عتابٍ واستنكارٍ موجهة إليه من الله سبحانه وتعالى كما حدث بشأن الصحابى الضرير «عبدالله ابن أم مكتوم» الذى جاء إلى النبى يوماً وهو مشغول بكبار قريش يدعوهم للإسلام فقطع عليه حديثه وقال : علمنى يا محمد مما علمك الله وكرر طلبه فكره رسول الله منه ذلك ، فنزل قوله تعالى ﴿**عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزّكى . أو يذكّر فتنفعه الذكرى . أما**

---

(١) الإسراء : ٨٨ . (٢) النجم : ٤ .
(٣) الأعراف : ٢٠٣ .

من استغنى . **فأنت له تصدى** . إلى قوله تعالى : **كلا إنها تذكرة . فمن شاء ذكره﴾** ثم يسجل عتاباً آخر بشأن ابنة عمته زينب بنت جحش التى كان قد زوجها لابنه بالتبنى (زيد بن حارثة) وحينما قضت إرادة الله وحكمة التشريع حفظاً لحقوق الأولاد الصلبيين بإبطال التبنى فكر النبى بأن يتزوج منها بعد طلاقها من يزيد تعليماً للناس بحل الزواج من مطلقات أولادهم بالتبنى ولكنه خشى انتقاد الناس له ، فنزل قوله تعالى : **﴿وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمرُ الله مفعولاً . ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمرُ الله قدراً مقدورا . الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلّا الله وكفى بالله حسيباً﴾**[1] .

كما نرد على أولئك المفترين ، بالمعجزات الأخرى بالآيات المدَّخرة التى حملها القرآن الكريم بين دفتيه ، ألم يقل رسول الله فيه : هو الذى لا تنقضى عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد ؟

---

(١) الأحزاب : ٣٧ ـ ٣٩ .

# القرآن والعلم

كانت رسالة الإسلام أول رسالة من السماء إلى الأرض تدعو الإنسان إلى العلم المطلق ، فحركت العقول الجامدة الموثقة بقيود العادات المألوفة والتقاليد الموروثة ، وشرعت لها أبواب المعرفة والتأمل ، واطلقتها من عقالها إلى مجالات الأخذ والعطاء إلى السماء ونجومها ، واقمارها ، وافلاكها ، وابعادها وإلى الأرض وما عليها من حيوان ونبات وجماد ، بل إلى النفوس البشرية لاكتناه ما انطوت عليه ، من عقل وجهل ، وحب وحقد وماا حتواها من لحم ودم ، واية رسالة سماوية أو أرضية كرسالة محمد كرمت العلم هذا التكريم ، ورعته هذه الرعاية فرفعت من شأنه : «**من أخذه أخذ بحظٍ وافر ، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة**» ، كما رفعت من شأن العلماء فجعلتهم ورثة الأنبياء ، العلماء الذين كلما امعنوا فى استجلاء أسرار الطبيعة واوغلوا فى كشف خفاياها ازدادت نفوسهم إيماناً بالخالق ويقيناً بوجوده ، قال تعالى : فى مقارنة بين العلم والجهل : ﴿**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكَّرُ أولوا الألباب**﴾[1] .

وحسبك أن يكون العلم عنوان هذه الرسالة واستهلالها ، قال

---

(١) الزمر : ٩ .

تعالى : ﴿**إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربُّك الأكرم . الذى علَّم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم**﴾ .

لم ينس صاحب الرسالة محمد ﷺ المرأة التى هى نصف الأمة وجناحها الثانى الذى به تسمو وترتفع فدعاها إلى العلم وساوى بينها وبين الرجل فى وجوب طلبه ، فقال : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » أي ومسلمة لأنّ الاطلاق يقتضي الشمول والعموم فى حين كانت المرأة فى الشرق والغرب سلعة تباع وتشترى لا رأى لها ولا وزن ، فقد حدثنا التاريخ بأن أحد المؤتمرات التى عقدت فى «روما» ناقشت قضية المرأة هل أنها تتمتع بروح كالرجل أم أن روحها كروح الثعابين والكلاب ؟ وخرج بقرار : أن لا روح للمرأة على الاطلاق وأنها لن تبعث فى الحياة الأخرى . وفى شريعة الرومان لم يكن للمرأة أية أهلية ولا حقوق ، فهى تحت الوصاية الدائمة ، وهى موروثة لا وارثة ، بل كانت متاعاً تابعاً للرجل يتزوج من النساء ما يشاء ويأخذ صداقهن ، ولا يزال مال المرأة فى فرنسا إلى اليوم خاضعاً لوصاية الزوج .

أما وضع المرأة فى الجزيرة العربية فكان كما وصفه القرآن : ﴿**وإذا بُشر أحدهم بالأُنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به . أيمسكه على هونٍ أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون**﴾[1] ، ثم جاء الإسلام فقضى على هذه المفاهيم الخاطئة وأعطى المرأة حقوقها الكاملة ومنحها المكانة اللائقة بها ،

---

(١) النحل : ٥٨ .

وأعاد إليها اعتبارها وحقها السليب وافهم الرجل أنها مخلوقة من نفسه لها عليه واجب الاحترام والتكريم ، فقال تعالى : ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن فى ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون**﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها**﴾[2] ، فإذا كانت المرأة مخلوقة من نفس الرجل فأى فرق يزعمه دعاة المساواة ؟ لقد كرم الإسلام المرأة أمّاً وزوجة وبنتاً وأختاً ، فقال رسول الإسلام : «**الجنة تحت أقدام الأمهات**» ، وقال : «**ما أهان المرأة إلّا لئيم وما أكرمها إلّا كريم**» ، وقال : «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى**» وقال : «**لا تكرهوا البنات فانهن المؤنسات الغاليات**» ، وقال : «**بر أمك ثم أباك وأختك ثم أخاك ثم أدناك فأدناك**» .

وبعد ، فهذا قليل من كثير مما قاله الإسلام فى حق المرأة وقد أوردنا بعضاً منه للدلالة على حكمة الإسلام فى إذابة الفروق بين شطرى المجتمع بالعدالة والمساواة لكى تنهض الأمة بجناحيها وما أحسن ما قاله الشاعر العربى فى هذا الموضوع :

إنما المرأة والمرء سواء فى الجدارة

علموا المرأة فالمرأة عنوان الحضارة

* * *

يرفع الشعب فريقان اناث وذكور

---

(١) الروم : ٢١ .

(٢) النساء : ١ .

وهل الطائر إلّا بجناحيه يطير؟

لقد جاءت الرسالة الإسلامية بالنور والهدى والحق والخير ومع ذلك فقد طلب من محمد ﷺ أن يأتى بالمعجزات يقول الله فى ذلك : ﴿**وقالوا لن نؤمن لك حتى تُفجّر لنا من الأرض ينبوعاً . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتى بالله والملائكة قبيلاً . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تُنزّل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلّا بشراً رسولاً**﴾ (١)

لقد جاءهم محمد بالمعجزة الخالدة ولكنهم عموا وصموا ، إنه الطبع البشرى الذى لا يتبدل :

يبصر الحق وهو عنه بعيدٌ

فإذا صح عابه بالصدود

إنك لتسمع امنيات حارة تتراقص حول القمر والنجوم ، حالمة أن تلثم جبهة القمر البيضاء ، وأن تكتحل عيونها بأشعة الكواكب وها هو العلم قد حقق هذه الأمانى ، ونسمع مع ذلك من ينتقد هذه المعجزات العلمية ، قال تعالى : ﴿**ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تُسمع الصُمَّ ولو كانوا لا يعقلون . ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون**﴾ (٢)

وعندما تحققت الأمنية ومشى الإنسان بلحمه ودمه على سطح

---

(١) الاسراء : ٩١ – ٩٢ – ٩٣ .

(٢) يونس : ٤٢ – ٤٣ .

القمر قال أحد الذين يدعون العلم أو ينتسبون للعلماء إن هذا هو الكفر والتخريف ، هؤلاء لا يريدون أن يروا أثر الخالق على المخلوق ، فقد أنعم الله على الإنسان بالعقل وهو من أكبر نعمه عليه والله سبحانه وتعالى يقول ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾ فهل يحدث الإنسان بنعمة الله إلّا باستعمال ما وهبه الله من عقل وحواس وقدرةٍ فى مصلحته ومصلحة مجتمعه واعمار الأرض التى يعيش عليها ، وفى تلقى العلم والسعى وراء المجهول ليصبح معلوماً ؟ إنه إن فعل ذلك فقد حدث بنعمة الله وأجاب دعوة الله الذى دعاه إلى العلم والمعرفة واكتشاف المجهول فى نفسه وفى كل ما خلق الله ، لأن الله سبحانه وتعالى سخّر له كل شىء ، قال تعالى : ﴿**ألم تروا أنّ الله سخّر لكم ما فى السموات وما فى الأرض**﴾ وقال : ﴿**وسخّر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجلٍ مسمى**﴾[1] ، وقال : ﴿**وسخَّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إنّ فى ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾[2] ، وقال : ﴿**وهو الذى سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طريّاً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**﴾[3] .

هذا الشيخ وأمثاله المتنكرون للإنجازات العلمية أقول فيهم :

| | |
|---|---|
| ولما رأيت الشيخ قلت لعله | من العلم والعرفان ملآن بالدر |
| لعل الذى ألقاه يجتثُّ حيرتى | ويلقى بها فى صحوة النور والفجر |
| وحين سألت الشيخ بعض مسائلٍ | أجاب فزاد الأمر سراً على سرِّ |

---

(١) لقمان : ٢٠ ــ ٢٩ . (٢) النحل : ١٢ .
(٣) النحل : ١٤ .

وطاف رحاب الكون شرقاً ومغرباً    يحدث بالأحلام والغيب والسحر
سألت جناب الشيخ عن غزوة الفضا    فقال معاذ الله هذا من الكفر
فقلت لهذا الشيخ : كم أنت ظالم    تفسر روح الدين بالجهل والنُّكر
ألم يمنح الرحمن عقلاً لعبده    لحلّ رموز الكون بالعقل والفكر ؟
أما سخر الأكوان فضلاً ورحمةً    فأجرى له الأرزاق فى البر والبحر ؟
سماء وارضا مشرعات لأجله    يـعـمـرها بالخير والحب والبر
فما قد تراه الكفر فى غزوة الفضا    أراه لرب العالمين من الشكر

# الباب الثانى

## لافتات السماء

## أو معالم الوحى

# معالم الوحى

إن القرآن الكريم ليس كتاباً علمياً بالمعنى المادى للكلمة هذا ما نقرره قبل كل شيء ، بل هو كتاب روحى فيه كل ما يسمو بالإنسان ويصله بالله ، وتشريعى فيه كل ما يحفظ صلة الإنسان بالإنسان ، غير أن القرآن قدّس العلم وباركه وجعله مرتكزاً لدعوته ومنطلقاً لها لعلمه أنه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

فمن العلم أن يفكر الإنسان فى خلق السموات والأرض قال تعالى : **﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾** [1] .

ومن العلم أن يفكر الإنسان فى النبات والجماد والحيوان .

ومن العلم أن يفكر فى كل شيء يقع عليه بصره وتحس به حواسه .

ومن العلم أن يفكر الإنسان فى نفسه ، وفى معتقده ليميز بين الحق والباطل والضار والنافع ليكون اقتناعه ذاتياً بما يؤمن به ويعتقده قال تعالى : **﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾** [2]

---

(١) آل عمران : ١٩١ .    (٢) البقرة : ١٧٠ .

لقد أشار القرآن الكريم إلى كثير من الأسرار الكونية إشارةً علميّةً موجزة تتكشف كلما تقدم العلم وتظهر بظهوره ، ذلك لأنه كان مقدَّراً لنا أن نتولى هذا الاكتشاف فتأخّرنا وتقدم غيرنا بعد أن كنا طليعة الأمم حضوراً وحضارة .

من هذه الأسرار ما أشار إليها القرآن مكتشفاً ، أو دافعاً للاكتشاف مرسلاً أمام العقل البشرى أنواره الهادية ، تاركاً له حرية الاستنتاج وفضل السبق وبراءة الاختراع ، ومنها ما أشار إليه متحدياً منكريه بالمعجز من صنعه ، داعياً إلى التفكير فيه كطريق موصل للإيمان ، ذلك لأن كثيرين ممن كذبوا برسالة محمد ﷺ قالوا انها من عنده وانها الشعر ، وانها السحر ، وقالوا فيها أشياء وأشياء فرد الله عليهم متحدياً : ﴿**أمْ يقولون افتراه قل فأتوا بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿**وما علمناه الشعر وما ينبغى له ، إن هو إلّا ذكر وقرآن مبين**﴾[2] ، كما رد عليهم بالآيات المعجزة التى تثبت أنه وحى الله المنزل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن محمداً لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحى يوحى وانتصر العلم الذى جاء به القرآن فى النهاية وقامت دولة العلم .

وفى عصرنا هذا يطالب الكثيرون بتحييد الدين عن قضايا العصر ويسمون ذلك «علمانية» كما يقلد الكثيرون أعداء الإسلام فى أكاذيبهم فيزعمون أنه لا يتمشى مع نظم العصر الحديثة

---

(١) يونس : ٣٨ .
(٢) يس : ٦٩ .

ولا يستوعب قضاياه الآنية ونقول لهؤلاء المكابرين :

ومن أنكر الأصوات أصواتُ زمرةٍ تودُّ لو أنّ الدين فى الأرض حُيدا
يقولون : إن الدين قد بات قاصراً مقاييسه لا تستر اليوم والغدا
ينادون «بالتحديث» قلت : رويدكم ومن قال إن الدين يرضى التجمّدا؟
ومن قال إن الدين للعلم منكر؟ «بإقرأ» تعالى الله قرآنه ابتدا
واطلق للفكر الكسيح جوانحاً وقال اكتشفنى لا أريد المقلّدا
تقولون بالأفواه ما ليس خافياً فلا حقّق الرحمن للكفر مقصدا
أعيد التحدّى مرّةً تلو مرةٍ فهذا كتاب الله جيئوا بأجودا
فلستم من الرحمن أدرى بخلقه ولستم رسول الله ، لستم محمداً .

وذلك أيضاً لأن الذين آمنوا برسالة محمد بدأوا يخططون حينذاك لبناء دولة الإسلام فأشارت إليهم أصابع السماء بالآيات اللافتة إلى موقع قوة ، أو مكمن سر واختراع ، ليأخذوا بالأسباب التى تقيم هذه الدولة وتركز بنيانها ، وحسب الذين يعلمون والذين لا يعلمون أن محمداً كان أمياً :

بدوىّ واحدٌ هزّ الورى
وسرت آياته فى العالمين

أمىّ ، أدَّبه ربه فأحسن تأديبه ، وعلمه فأحسن تعليمه ثم قال له : انطلق يا محمد إلى الناس رسولاً يعلمهم الكتاب والحكمة ، **﴿وإنك لعلى خلقٍ عظيم﴾** فلم تزده هذه الشهادة الإلهية الا تواضعاً لله وسعياً وراء العلم وحثاً عليه بل جثا على ركبتيه وأغمض جفنيه وتمتمت شفتاه مردداً قوله تعالى :

**﴿وقل ربِّ زدنى علماً﴾** .

# الدعوة إلى ارتياد الفضاء

إن دعوة الله قائمة منذ أربعة عشر قرناً ونيف لرحلة الإنسان إلى عالم الفضاء قال تعالى : ﴿**فلا أقسمُ بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم**﴾[1] .

قال أكثر المفسرين بأن «لا» صلة مستدلين بقوله تعالى : ﴿**وإنه لقسم**﴾ ، وقال بعضهم هى نفى بمعنى ليس الأمر كما تقولون ، وقد يقول الرجل لا والله ما كان كذا فلا يريد به نفى اليمين بل يريد به نفى كلام تقدم ، أى ليس الأمر كما ذكرت وأرى أن «لا» زائدة فقد كان العرب يستعملون هذه الحروف : لا ، وما ، وان ، دون أن يكون لها أى معنى ، وقالوا : بأن مواقع النجوم مساقطها ومغاربها وانكدارها ، وانتثارها يوم القيامة ، وقالوا تعنى نزول القرآن منجماً ، وأرى أنها دعوة أراد الله بها أن يقول لعباده الذين يلهثون وراء أسرار الفضاء انا أدلكم عليها وادعوكم إلى اقتحامها واكتشافها وإن «لو» هذه تفصح عن رغبتى فى دعوتكم إلى هذه المواقع التى أقسمت بها لعظمتها ودقيق صنعها لأنكم حين تشاهدونها ستؤمنون بأن القرآن هو كلماتى ووحيي إلى محمد ، وإن إيمانكم سيتضاعف حيث تتجلى لكم قدرتى وتفردى فى خلق هذا

---

(١) الواقعة : ٧٥ ـ ٧٦ .

الكون العجيب .

إن الله سبحانه لم يوجه الدعوة إلى عباده دون أن يدلهم على الطريق الذى يوصل هذه الرحلة الفضائية إلى غايتها بنجاح ، وسيأتى بيان ذلك فى موضعه إن شاء الله .

# ريادة الفضاء

أحس بها «غاغارين» ضيقاً فى صدره وهو يصعد فى الفضاء ، وعاشها دقائق قليلة رهيبة ، كأن أثقالاً من الحديد ألقيت على جسده القوى فبات لا يقوى على الحركة ، وازداد ضغطها الهائل عليه حتى أحس أنه يكاد ينعصر وانفاسه المتعبة الثقيلة كادت تنقلب إلى حشرجة ، لو لا أنه شعر فجأة بانزياح هذه الأثقال ، ليحول جسده إلى عكس ما كان عليه منذ لحظات ريشة لا ثقل لها ولا وزن ، فأيقن أنه بلغ مداره ، وانه افلت من جاذبية الأرض ، ونظر إلى ما فوقه فرأى السماء مظلمة دكناء مغطاة بالسديم ، والنجوم من خلفها براقة تتلألأ ، وإلى ما تحته مد بصره الذاهل الحسير ، إلى البقعة الملونة كجناح فراشة ، فرآها مدورة مدحاة ، تستحم بالشمس ، وتتدثر بالليل ، تداخل ليلها بنهارها ، واختلط بياضها بسوادها ، وإذ هو يفكر مسحوراً بما رأى كانت ملائكة السماء ترجع آيات الله المرتلة تحملها من عالم الأرض أمواج الأثير .

**﴿يكور الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل﴾** (1)

**﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل﴾** (2)

ثم عاشها «شبرد» وتيتوف ، وغيرهما من بعده وشعرا بالضيق

---

(1) الزمر : ٥ . (2) الحديد : ٦ .

والحرج كما شعر ، وآيات الله المرتلة مازالت تخترق الأجواء ، لينة حيناً ، وهادرة أحياناً ، **﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد فى السماء﴾**[1] ،

كلمات وآيات دوت ولاتزال عبر الأجيال منذ أربعة عشر قرناً لافتات إلى موضع الأسرار فى ما خلق الله وفى ما لم يخلق .

آيات اختصرت دروب الحياة المتشعبة الطويلة التى سلكها ويسلكها ملايين البشر فى طريق واحد سوى ، لا يضل سالكه ولا يشق ، هبط بها رائد الفضاء الأول «جبريل» الأمين على هضبة من هضاب مكة الشم حين استفحل شر الأرض وتفاقم طغيانها ، وهناك فى أرض عربية مقدسة رأت السماء فيها قداستها شهد «الغار» المتواضع أول رائد للفضاء يحمل رسالة الله .

ومن الغار المقدس إذن للفجر الزاحف أن يبدد كتائب الظلام ، يومذاك اكتحلت عيون البشرية الرمداء بنور الله حين هتف بها جبريل الامين فى مسمع الإنسان الكبير فتلقفها قلب محمد ووعيه كما تتلقف أنداء الصباح زهرة ظمأى بيتها الهجير على شوق لاهب .

**﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم﴾** .

ولم يكن محمد الجلد القوى الصبور ليرتعش خشية ورهبة ، ولم يكن ليمسح عن جبينه الناصع العريض قطرات من العرق كحب الندى المنثور ، ولم يدرك فى تلك اللحظات الحاسمة خطورة

---

(١) الأنعام : ١٢٥ .

الرسالة الملقاة عليه بأعبائها الثقيلة .

لقد وعى محمد رسالة الإنسان ، الإنسان العظيم الذى أقامه الله منذ الأزل خليفة على أرضه .

الإنسان الجبار الذى غاص إلى أعماق البحار فقهرها واستخرج كنوزها وإلى أعماق الأرض فاستثمر معادنها وخيراتها ، وإلى ما حوله فأنشأ الصروح ، وأنار الظلمات ، وفجر الحياة من الموات ، ثم تطلع إلى السماء بنهم وشوق يسأل نجومها فترتعش حين تلامسها ثورة أفكاره الجامحة .

**﴿وإذْ قال ربُّك للملائكة إنى جاعلٌ فى الأرض خليفةً قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلّا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾** [١] .

ثم انطلق محمد ﷺ من كهفه السعيد المشرق بلقاء السماء كما تنطلق البشرى إلى قلب حزين تغمره بهجة وحياة ، انطلق إلى شعبه الأمين ، بل إلى عالم كبير تائه فى معابر الأرض الوعرة ، غارق فى ظلمات بعضها فوق بعض ، يحمل فى قلبه ويديه شعلة السماء المقدسة فيمنح النور للأعين الرمداء والبصائر للقلوب المغلقة مردداً بإيمان الرسول الواثق بالله :

---

(١) البقرة : ٣٠ ـ ٣٢ .

**﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾** ، بينما كانت آفاق الدنيا تضج بتراتيل السماء الخالدة **﴿وما أرسلناك إلّا رحمةً للعالمين﴾** [1] .

ولم تكن معجزة الانقاذ بأقل روعة من معجزة التهيئة والاعداد والتحرير حين حرر محمد ﷺ جزيرة العرب من الاستعمار المحدق بها ، المحوم حولها ، المستغل خيراتها ، وحرر أبناءها من جاهليتهم ومن الفوضى التى عصفت بهم وأغرقتهم فى بحر من الدماء والدموع ، لينطلق الحفاة العراة الأميون رسل حضارة ومعرفة ومحبة ، ورجال دين ودولة فى أقل من عشر سنوات ، قال تعالى :

**﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها﴾** [2] .

هذه الثورة الروحية التى فجرها محمد ﷺ فى دنيا العرب أجتثت أصول الشر وقواعد الشرك ، وزلزلت أصنام مكة الهزيلة الباردة القابعة على رفاف الكعبة يعلوها الصدأ ويأكلها الغبار ، وانهارت معها أصنام أخرى من لحم ودم ذاهلة أبصارها عالقة مسامعها بالإعجاز البليغ الذى يملكه دعاة الدين الجديد :

**﴿يا أيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له إنّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾** [3] ، وقام على انقاضها جميعاً الإنسان العربى المسلم الجديد المؤمن بحقه وحريته وكرامته ،

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .  (٢) آل عمران : ١٠٣ .
(٣) الحج : ٧٣ .

وكرامته ، المتعلق بإنسانيته الضاربة فى رحاب الأرض المتصلة بشعوب الدنيا .

**﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾**[1]

**«الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله»** .

على أن هذه الثورة ما قيض لها أن تمد جذورها فى أعماق التربة العربية وغيرها لتصبح بعد ملاوةٍ من الزمن حضارة عريقة ثرية ذات قيمةٍ ووزنٍ وعطاء ، لو لم تساندها جنباً إلى جنب حضارة مادية توازيها عمقاً وأصالة ، قامت على أسسٍ تشريعية وقواعد اجتماعية من عدل واخاء وحرية ومساواة ، قرنت الإيمان بالعمل ، والطيبة بالحذر ، والسلام بالسيف المشرع ، ثم مدت أصابعها باليقين من الوحى إلى المستقبل القريب البعيد لتجرد فى عالمه الغيبى بعض أسرار الطبيعة .

إنها على كثرة ما استقطبت من معانى الخير والحق والجمال وعلى ما قطعت من مراحل العمر لاتزال ، وستظل أبداً فتية قوية تزود أعراقنا بالدم الحار وأفكارنا بالمجد والحياة .

---

(١) الحجرات : ١٣ .

# مسألة بدء الخلق

تحدثت رسالة الإسلام عن عملية خلق السموات والأرض فى آيات كثيرة نذكر منها قوله تعالى : **﴿إنَّ ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيامٍ﴾**[1] وقوله تعالى : **﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربُّ العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدَّر فيها أقواتها فى أربعة أيامٍ سواءً للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهى دُخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين . فقضاهنّ سبع سمواتٍ فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها﴾**[2] . فالذى يفهم لأول وهلة أن عملية الخلق تمت فى ثمانية أيام وليس فى ستةٍ غير أن معنى قوله تعالى : **﴿وقدَّر فيها أقواتها فى أربعة أيام﴾** ، أنَّ تقدير الأقوات والأرزاق والمصالح وانهاء شكل الأرض الخارجى من حيث إرساء الجبال وخلق الأنهار والأشجار والدواب استغرق مع يومى الخلق أربعة أيام ثم استوى أى قصد وتوجه إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ما قال ثم قضاهن سبع سموات فى يومين فهذه ستة أيام .

وبالمقارنة فإن التوراة ذكرت عملية الخلق فى روايتين :

---

(١) يونس : ٣ .　　(٢) فصلت : ٩-١٢ .

احداهما تبدأ بالقول : «فى البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلام ، وروح الله يرف على وجه المياه» الفصل الأول من سفر التكوين : ١ ـ ٢ .

وفى سفر التكوين : ٣ ـ ٥ وقال الله : «ليكن نور فكان نور ، ورأى الله النور انه حسن ، وفصل الله بين الظلام والنور وسمى الله النور نهارا والظلام سماه ليلاً وكان مساء وكان صباح يوم واحد» .

ثم خلق الله فى اليوم الثانى الجلد ليفصل بين المياه وفوقها وتحتها وسمى الجلد سماء وكان مساء وكان صباح يوم ثان .

وهكذا تستمر التوراة فى قصة الخلق إلى أن تصل إلى اليوم الرابع حيث ورد فى سفر التكوين : ١٤ ـ ١٩ ، وقال الله لتكن نيرات فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين ، وتكون نيرات فى جلد السماء لتضىء على الأرض فكان كذلك ، وضع الله النيرين العظيمين ، النير الأكبر لحكم النهار والنير الأصغر لحكم الليل والكواكب وجعلها الله فى جلد السماء لتضىء على الأرض ولتحكم على الليل والنهار وتفصل بين النور والظلام ورأى الله ذلك أنه حسن وكان مساء وكان صباح يوم رابع .

وفى اليوم الخامس خلق الله الطيور والزحافات فوق الأرض والحيتان فى البحار .

وفى اليوم السادس خلق الله الإنسان والوحوش والبهائم بحسب أصنافها وكل دبابات الأرض .

أما فى اليوم السابع فقد فرغ الله من عمله واستراح .»

أما فى النص اليهودى للخلق الذى يسبق قروناً عدة النص الكهنوتى فإنه لا يتعرض لراحة الله التى أدخلها رجال الكهنوت .

والذى أثبته العلم أن مراحل الخلق كما تصفها التوراة غير مقبولة وهى لا تتفق فى معظمها مع العلم والحقيقة لأنه بدون شمس لا يكون ليل ولا نهار فكيف خلق الله النور والظلام فى اليوم الأول حسب الآية ٣ ـ ٥ فى حين خلق الشمس والكواكب فى اليوم الرابع ؟

وقد تابعت الرواية عملية الخلق بترتيب ملحوظ حيث استراح الله فى اليوم السابع وكان يوم السبت وكلمة سبت تعنى بالعبرية «استراحة» فتعالى الله عما يصفون ،

أما الرواية التوراتية الثانية فهى مكملة للأولى وقد وردت فى سفر التكوين من تاريخ أقدم من الأولى بثلاثة قرون وهى تسرد قصة الإنسان والنبات نذكرها هنا موجزة : «فى الوقت الذى صنع يهوه الإله الأرض والسماء لم تكن بعد نبتت شجرة حقل على الأرض ، ولا عشبة حقل ، لأن يهوه الإله لم ينزل المطر عليها ولم يكن فيها الإنسان ليفلحها ، وفجأة ظهرت موجة ماء من الأرض فسقت كل سطحها ، وجبل يهوه الإنسان من طينها ونفخ فى منخريه نفساً من الحياة وكان الإنسان» .

يرى الكاتب الفرنسى «موريس بوكاى» فى كتابه «التوراة والانجيل والقرآن والعلم» أن التوراة حددت يوم الخلق من الصباح إلى المساء أى بالفترة الزمنية بين مطلعين للشمس أو مغربين لها متتابعين بالنسبة إلى ساكن الأرض واليوم المحدد على هذه الصورة

هى نتيجة دوران الأرض حول نفسها فى حين وصف القرآن الكريم اليوم بدورة أو مرحلة زمنية غير محددة بين غروب شمس يوم وغروب شمس يوم آخر ، مستدلاً على ذلك بقوله تعالى : **﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنةٍ مما تعدون﴾**[1] ، وأن المقصود باليوم القرآنى هو الفترة الضوئية .

إن المسافات بحسب علوم الفلك شاسعة جداً بحيث تقاس بالسنوات الضوئية ، والسنة الضوئية تمثل المسافة التى يقطعها الضوء خلال سنة واحدة وتقدر بقرابة ١٩,٢ مليون كيلومتراً ، وهناك مجموعات ضخمة من النجوم تدعى المجرات ، وتنتمى شمسنا إلى أحداها وفيها قرابة مئة ألف مليون نجم ، ويبلغ امتداد المجرة مئة ألف سنة ضوئية ، كما أن هناك أجساماً أخرى فى السماء غامضة كسحب الغاز ومصادر الطاقة وتلك التى أشار إليها القرآن بالدخان ، وتحتوى المجرة على سحب مشتعلة من الغاز الملّون الساطع وعلى سحب معتمة تبدو خلفها النجوم ساطعة وتدعى بالسديم .

أما أرضنا فهى كوكب لا يختلف عن مجموعة الكواكب الشمسية الأخرى وهى محاطة بجو مركب من الغازات كمعظم الكواكب الأخرى وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الغازات بقوله : **﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان﴾** ، كما أخبر القرآن

---

(١) السجدة : ٥ .

الكريم بأن السموات كثيرة والأرضين كثيرة بقوله : ﴿**أتينا طائعين**﴾ ولو كانت الأرض واحدة والسماء واحدة لقالتا اتينا طائعين على حد تعبير «موريس بوكاى» ، كما يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿**الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أنَّ الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما**﴾[1] ، وها نحن نرى أن الإنسان اكتشف بأن القمر كوكب ترابى كأرضنا ولكن يختلف عنها بعدم وجود حياة على سطحه لفقدان الماء والهواء كما ثبت بواسطة المراكب الفضائية أن المريخ كوكب ترابى أيضاً ولكن لم تكتشف أيضاً حياة فيه ومن يدرى ؟ فقد تكتشف سموات كثيرة وأرضون كثيرة ، أما تحديد العدد بسبع سموات وسبع أراضٍ فهو تدليل على الكثرة فقد كان العرب يقولون للتقليل مرة مرتين وللتكثير سبع ثمانى مرات .

ولم يقتصر القرآن الكريم على الإشارة بأن اليوم يساوى ألف سنة ضوئية بل أشار أيضاً بأن اليوم قد يكون خمسين ألف سنة فقال : ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنةٍ**﴾[2] مما يدل على أن المسافات الهائلة والأبعاد المتفاوتة بين الكواكب لا يحدها مرصد ولا تطالها مركبة فضائية حتى الآن .

لقد تناول القرآن قضية أصل الخلق فى آيتين هما قوله تعالى : ﴿**أو لم ير الذين كفروا أنَّ السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حى أفلا يؤمنون**﴾[3] وقوله تعالى :

---

(١) الطلاق : ١٢ .　　(٢) المعارج : ٤ .

(٣) الأنبياء : ٣٠ .

**﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا آتينا طائعين﴾** . ومعنى كانتا رتقاً ففتقناهما أى كانتا مضمومتين ثم فصلناهما ، قال الأقدمون عكرمة ، وعطية ، وابن زيد ، وابن عباس ، أن السموات كانت رتقاً لا تمطر والأرض رتقاً لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات واختار هذا القول الطبرى ، وقال بعض العلماء الرتق ضد الفتق وإن الله خلق السموات والأرض بعضها على بعض ثم فصل وبهذا قال «كعب» و «مجاهد» و «أبوصالح» ، والعلم الحديث يؤكد أن الاجرام السماوية كانت دخاناً أى غازات ثم تجمدت كتلة واحدة ـ لأن الدخان كما عرفه العلم الحديث مؤلف من أصل غازى مشوبٍ بذرات دقيقة لها إمكانية الانتماء إلى حالات المادة الجامدة والسائلة ـ ثم انفصل بعضها عن بعض اجراماً متفرقة .

لقد وردت قصة الخلق فى التوراة بشيء من التتابع والتناقض مع الحقائق العلمية كما قلنا ، أما فى القرآن الكريم فهناك آية واحدة تشير إلى التتابع قال تعالى : **﴿أأنتم أشدُّ خلقاً أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعاً لكم ولأنعامكم﴾**[1] فقد بدأ الله سبحانه وتعالى بالسماء وذلك يعنى أن الشمس هى أم الأرض وسائر الكواكب الأخرى وصدق الله العظيم حيث يقول : **﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة**

---

(١) النازعات : ٢٧ .

**للمتقين﴾**[1] ويقول سبحانه : **﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناسَ وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثَّ فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآياتٍ لقوم يعقلون﴾**[2] ، كل هذا يتفق مع الحقائق العلمية المعاصرة خلافاً لما كان سائداً قبل عصر النبى ﷺ وخلافاً لما ذكرته التوراة مما يثبت أنه وحى الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

---

(١) هود : ٤٩ .
(٢) البقرة : ١٦٤ .

## ميزان السماء

لقد ذكر الله سبحانه السماء ووصفها بالدنيا فى عدة مواضع من القرآن الكريم لقربها إلينا وأنه زينها بالمصابيح والكواكب فقال : **﴿إنا زيَّنا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب﴾**[1] وانه رفعها بغير عمد فقال : **﴿الله الذى رفع السموات بغير عمدٍ ترونها﴾**[2] ، وهذا ينقض العقيدة التى ترى أن السماء لا تنهض بغير عمد وانه رفعها ووضع الميزان وقال : **﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾**[3] ، قيل فى تفسير الميزان : بأنه العدل ، وقيل : أنه القرآن وهو قول الحسين ابن الفضل ، وقيل : هو الميزان المعروف الذى يوزن به لينتصف الناس به بعضهم من بعض ، والذى أراه أن هذه الآية مرتبطة بالآية التى سبقتها وهى قوله تعالى : **﴿الشمس والقمر بحسبان﴾** التى قال فيها بعض المفسرين : يعنى أنهما يجريان بحساب معلوم ، وقال ابن عباس وقتادة وأبومالك يجريان بحساب فى منازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها ، وقال آخرون : بهما تحسب الأعمار والآجال ، وقال السدى : أى يجريان لأجل مقدر كآجال الناس فإذا جاء أجلهما هلكا . وأرى أن حسبان الشمس والقمر وميزان السماء كلها تدل على شىء واحد هو نظام الجاذبية المتوازن

---

(١) الصافات : ٦ . (٢) الرعد : ٢ .
(٣) الرحمن : ٧ .

الذى يمسك الكواكب والبروج والشموس والأقمار فى أفلاكها وحتى المحيطات والبحار فلا تطغى على ما حولها من أرض مصداقاً لقوله تعالى : ﴿**مرَج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان**﴾[1] ، والبرزخ الحاجز الذى يفصل بين بحرين ويصل البر بالبر وكلما كانت الأجرام السماوية متقاربة أثّر بعضها على بعضٍ كما يؤثّر القمر عند اقترابه من الأرض على البحر فيحدث المد والجزر هذا النظام المحسوب هو الذى يبقى هذه الأجرام متماسكة فى مداراتها للمسافات الشاسعة بينها وفقاً لنظرية «نيوتن» فى قانون الجاذبية ومصداقاً لقوله تعالى : ﴿**لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلّ فى فلك يسبحون**﴾[2] .

أما الميزان الذى توزن به الأشياء والمكيال فقد ذكره الله سبحانه فى آية تالية فقال : ﴿**وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**﴾ أى ولا تنقصوه وذلك تمشياً وانسجاماً مع المعنى الذى يحقق التوازن بين الموزون وقيمته .

---

(١) الرحمن : ١٩ .

(٢) يس : ٤٠ .

## الجاذبية

تعالوا معى يا رواد الفضاء .

تجردوا عن كل ميل وهوى .

ثم اشهدوا كيف تعرت السماء لعينى «محمد» ﷺ

قال تعالى : ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يُضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصَّعَّد فى السماء**﴾[1] .

لقد فسر العلماء الأقدمون هذه الآية ، بأن من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ، ومن لم يرد به خيراً ضيق صدره وأبعد فهمه فلم يفقهه ، وقد سأل ابن مسعود رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله وهل ينشرح الصدر؟ فقال **نعم يدخل القلب نور** فقال : وهل لذلك من علامة ؟ فقال رسول الله : **التجافى عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت** ، وفسروا قوله تعالى **كأنما يصعد فى السماء** بأن الله شبه الكافر فى نفوره من الإيمان وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه كما أن صعود السماء لا يطاق وكأن الكافر من ضيق صدره كأنه يريد أن يصعد إلى السماء وهو لا يقدر على ذلك .

---

(١) الأنعام : ١٢٥ .

هذا بعض ما قالوه ولكن أليست هى الجاذبية التى تتنازع الصاعد إلى السماء وتشده إلى الأرض ؟ فمن أوحى إلى محمد ﷺ بهاتين الشدتين الجاثمتين على الصاد والعين فى «يصعد» كى تعبرا تعبيراً قوياً عما يلاقيه الصاعد إلى أعلى من شدة وهول ؟

أليس ذلك صحيحاً يا «غاغارين» ويا «غلين» ؟

والسماء المزينة بالأقمار والنجوم ، ألم ترياها مظلمةً قاتمة رغم نجومها واقمارها ؟ فاسمعا إذاً :

**﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سُكرتْ أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾** [1] ، لقد فسر الأقدمون المعارج بالمصاعد من عرج يعرج أى صعد ، وأنَّ المشركين لو صعدوا إلى السماء وشاهدوا الملكوت والملائكة لأصروا على الكفر . وفسروا قوله تعالى : **﴿سكرت أبصارنا﴾** أى سدت بالسحر ، وقال بعضهم عميت وأخذت ، وغشيت وغطيت ، ونحن نقول ما أصدقه من وصف مطابق للحقيقة والواقع وما أروع كلمة «ظلوا» تترامى بين حروفها المسافات الطويلة والابعاد المذهلة بين جرم وجرم ، بل آية موافقة مدهشة بين ما رأيتما [2] فى ملكوت السموات وبين هذا الوصف الدقيق فى قوله تعالى : **﴿كأنما سكرت أبصارنا﴾** وهل ترى الأبصار المطبقة غير الظلام ؟ ذلك هو ما رأيتما «السديم المعتم» الذى تبدو خلفه الكواكب ساطعة براقة والشمس متوهجة الأشعة تلقى على سطح القمر ظلالاً قاتمة .

---

(١) الحجر : ١٥ .

(٢) الضمير يعود إلى رائدى الفضاء الأولين : « غاغارين وغلين » .

# دورة الشمس والقمر

من قال لمحمدٍ إن للإجرام السماوية مدارات وأفلاكاً لا تتعداها وان كلّا منها ما يدور فى فلكه حول نفسه أو حول غيره بتوقيت ونظام مدهشين ، قال تعالى : **﴿والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ فى فلك يسبحون﴾**(1) .

للمفسرين فى هذه الآية أقوال كثيرة ، قال الكلبى وغيره : أى تجرى إلى أبعد منازلها فى الغروب ثم ترجع إلى أدنى منازلها ، فمستقرها الموضع الذى لا تتجاوزه بل ترجع منه كالإنسان يقطع مسافة حيث يبلغ أقصى مقصوده فيقضى وطره ثم يرجع إلى منزله الأول الذى ابتدأ منه سفره ، وعلى تبليغ الشمس أقصى منازلها وهو مستقرها إذا طلعت «الهيعنة» وهى منزل من منازل القمر فإن ذلك اليوم أطول أيام السنة «خمس عشرة ساعة ، وتلك الليالى أقصر الليالى «تسع ساعات» حتى إذا طلع » الفرغ المؤخر وهو منزل من منازل القمر أيضاً استوى الليل والنهار فيأخذ الليل من النهار كل يوم عشر ثلث ساعة ، وكل عشرة أيام ثلث ساعة ، وكل شهر ساعة ،

---

(1) يس : ٣٨ـ ٤٠ .

حتى يستويا ، ويأخذ الليل من النهار حتى يبلغ خمس عشرة ساعة ، ويأخذ الليل من النهار كذلك .

وقال الحسن : إن للشمس ثلاثمائة وستين مطلعاً تنزل فى كل يوم مطلعاً ثم لا تتركه إلى الحول فهى تجرى فى تلك المنازل وهى مستقرها .

وقال ابن عباس : إن الشمس إذا غربت وانتهت إلى الموضع الذى تتجاوزه استقرت تحت العرش إلى أن تطلع ،

وقال «موريس بوكاى» فى تفسيره هذه الآية : ﴿**والشمس تجرى لمستقر لها**﴾ إلى قوله ﴿**وكل فى فلك يسبحون**﴾ إنها ذكرت بوضوح شيئاً أساسياً وهو الأفلاك للقمر والشمس ، كما أنها أشارت إلى انتقال هذين الجرمين فى الفضاء بحركة منظمة وخاصة ، لقد اقلقت هذه الآية الشراح القدامى الذين لم يكونوا يتصورون جريان القمر والشمس الدائرى فتخيلوا صوراً مختلفة لهذا الجريان .

ويقول «بوكاى» أيضاً أن المفهوم المنتشر عن القمر فى أيامنا إنه تابع للأرض يدور حولها دورة تطول «تسعة وعشرين يوماً» وإن علم الفلك حدد مستقر الشمس الذى أشار إليه القرآن الكريم وإعطاء إسم «أبيكس» (          )فالنظام يتحرك فى الفضاء نحو نقطة محددة مركزية من مجموعة نجوم «هيرقيل» وإن ما ذكره القرآن الكريم موافق للحقائق العلمية ، آهـ .

إن ما استقر عليه العلم الحديث أن الشمس تتحرك حول نفسها وكأنى باللام فى «لمستقر» هى المحور الذى تدور حوله الشمس ولو كان الأمر غير ذلك لاستعملت إلى مكان اللام كما أن كلمة مستقر

تساعد على تأكيد هذا المعنى ، والشمس تكمل دورتها حول نفسها فى خمسة وعشرين يوماً ولإتمام هذه الدورة يقتضى مئتين وخمسين مليون سنة تقريباً مع العلم أن سرعة الشمس فى تنقلها تبلغ مئتين وخمسين كيلومتراً فى الثانية .

أما القمر فقد خففت جاذبية الأرض من سرعة دورانه حول نفسه عبر آلاف السنين فهو يدور الآن دورة حول نفسه خلال دورة كاملة حول الأرض فى تسعة وعشرين يوماً ونصف اليوم ، ولا نرى منه إلّا وجهاً واحداً هو الجهة القريبة منا ، أما الجهة البعيدة فقد صورتها المركبات الفضائية وفيها فوهات بركانية أحدثتها الشهب الكبيرة المتساقطة على مر ملايين السنين وليس فيها إلّا بحر واحد كما يسمونه (أى سهل واسع) ،

وكذلك فإن الأرض تتحرك وتدور بسرعة حول نفسها وحول الشمس وستظل جميعها تدور وتدور فى مداراتها حول الشمس إلى أن يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات غير السموات ، يقول العالم الكبير ، «اسحق نيوتن» كل شيء متحرك بسرعة يبقى على سرعته ما لم تنله قوة تغيره . .

## تداخل الليل والنهار والتكوير

قال تعالى : **﴿يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل﴾** ، يقول ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتاده ، والسدى ، فى معنى قوله تعالى : **﴿يولج الليل﴾** أى يدخل ما نقص من أحدهما فى الآخر حتى يصير النهار خمس عشرة ساعة وهو أطول ما يكون ، والليل تسع ساعات وهو أقصر ما يكون ، وكذا يولج النهار فى الليل ، أى يدخل أحدهما فى الآخر.

وروى عن ابن مسعود انه قال إن ألفاظ الآية تحتمل أن يدخل فيها تعاقب الليل والنهار كأن زوال أحدهما ولوج فى الآخر .

وقال الضحاك فى تفسير «يكور» الآية أى يلتى هذا على هذا ، وهذا على هذا ـ وتعنى جملة هذا على هذا فى اللغة طرح الشىء بعضه على بعض ـ يقال : كور المتاع أى ألتى بعضه على بعض ومنه كور العمامة

وقيل تكوير الليل على النهار تغشيته إياه حتى يذهب ضوؤه ويغشى النهار على الليل فيذهب ظلمته وهذا قول قتادة استمده من قوله تعالى : **﴿يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً﴾**[1] ،

إن الذى شاهده رواد الفضاء وسجلته آلات التصوير فى عصرنا

---

(١) الأعراف : ٥٤ .

يثبت التداخل الذى أشار إليه القرآن الكريم ، فالشمس تضىء باستمرار نصف الفضاء الفلكى المحيط بالأرض المواجه لها ، فى حين يظل النصف الآخر غارقاً فى الظلام ، وفى نفس الوقت الذى تدور فيه الأرض حول نفسها وتبقى الاضاءة ثابتة فإن منطقة مضاءة على شكل نصف فضاء فلكى تؤدى دورتها حول الأرض فى مدة أربع وعشرين ساعة بينما يكمل الفضاء الفلكى المظلم نفس الدورة فى مثل تلك المدة من الزمن ، هذه الدورة المستمرة للنهار والليل ، كاملة الوصف فى القرآن الكريم وهو قد عبر عنها كما لو كان الناس فى ذلك العصر قدتصوروا كروية الأرض فى حين لم يكن الأمر كذلك .

## تعدد المشارق والمغارب

قال تعالى : ﴿**فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون**﴾[1] ،

وقال : ﴿**رب المشرقين ورب المغربين**﴾[2] .

قال المفسرون الأقدمون فى هاتين الآيتين كلاماً كثيراً ، فابن عباس قال : للشمس كل يوم مشرق ومغرب ، وذلك أن الله تعالى خلق لها ثلاثمائة وخمساً وستين كوة فى مطلعها ومثلها فى مغربها على عدد أيام السنة الشمسية ، تطلع فى كل يوم فى كوة منها وتغيب فى كوة ، لا تطلع فى تلك الكوة إلّا فى ذلك اليوم من العام المقبل ، ولا تطلع إلّا وهى كارهة فتقول : لا تطلعنى على عبادك فإنى اراهم يعصونك» ، ذكره أبوعمر فى «التمهيد» ، وابن الانبارى فى كتاب الرد عن عكرمة .

ونكتفى بما قاله ابن عباس لنقدم أحد العلماء المعاصرين «فموريس بوكاى» ، الذى يقول :

«إن من يلاحظ مشارق الشمس ومغاربها يعرف جيداً أن الشمس حسب الفصول تشرق من نقاط مختلفة فى المشرق ، وتغرب فى نقاط من المغرب ، فقد اتفق فى كل أنحاء الدنيا على علامات تحدد نقاطاً قصوى تثبت مشرقين ومغربين تتركز بين كل

---

(١) المعارج : ٤٠ .　　(٢) الرحمن : ١٧ .

منهما على مدى طول السنة نقاط متوسطة» .

أما منازل القمر التى ذكرها ـ الله فى هذه الآية فقد قال المفسرون إنها ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة فيها بمنزل وهى :

الشرطان ، البطين ، الثريا ، الدبران ، الهقعة ، الهنعة ، الذراع ، النثرة ، الطرف ، الجبهة ، الخراتان ، الصرفة ، العواء ، السماك ، الغفر ، الزبانيان ، الاكليل ، القلب ، الشولة ، النعائم ، البلدة ، سعد الذابح ، سعد بلع ، سعد السعود ، سعد الأخبية ، الفرغ المقدم ، الفرغ المؤخر ، بطن الحوت .

ويسميها بعضهم البروج ، ومعنى البروج لغة : الظهور ومنه تبرج المرأة باظهار زينتها ، وقال الحسن وقتادة : البروج : النجوم ، وسميت بذلك لظهورها وارتفاعها .

قال تعالى : ﴿**ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وزيناها للناظرين**﴾[1] ، يقول ابن عباس فى تفسير ذلك بأن بروج الشمس والقمر يعنى منازلها وأسماء هذه البروج : الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدى ، والدلو ، والحوت ، وقال بعضهم هى : عطارد ، والزهرة ، والمريخ ، والمشترى ، وزحل ، وثلاثة كواكب أخرى ، عرفت حديثاً ، هى أورانوس ونبتون وبلوتون .

---

(١) الحجر : ١٦ .

وكان العرب يعلقون أهمية على مواقع النجوم التي يستدلون بها على الطرقات والأوقات والخصب والجدب ، قال تعالى : ﴿**وعلامات وبالنجم هم يهتدون**﴾[1] ،

هذه المواقع أى المنازل المشار إليها تعنى مراحل جريان الشمس والقمر على النحو الذى ذكرناه وأن أسماء المنازل هى أسماء عربية وضعها العرب كمشاجب للذاكرة تساعدهم على معرفة ما سبق بيانه ، وهى أثر من آثار الحضارة العربية قبل ألوف السنين فهم الذين سموا الأسبوع وقسموا الأيام إلى أسابيع وقسموا الأسبوع الواحد على مطالع الكواكب من الشمس إلى الزهرة إلى الكوكب السابع . ومن العجيب أن يحتفظ الغرب بهذا الأثر فى تسمية أيام الأسبوع دون الأمم الشرقية فيسمون يوم الأحد يوم الشمس ، ويوم الاثنين يوم القمر ، ويوم الثلاثاء يوم المريخ ، ويوم الأربعاء يوم عطارد ، ويوم الخميس يوم المشترى ، ويوم الجمعة يوم زحل ، وهكذا فإن أمم العالم تسمى أيامها بأسماء عربية .

أما العلماء المعاصرون فيقولون بأن البروج ليست مضيئة بذاتها مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿**وزيناها للناظرين**﴾ وسيأتى بيان ذلك .

---

(١) النحل : ١٦ .

# النور والضياء

قلنا إن إشارات الوحى هذه تظهر كلما تقدم العلم وها هو الكاتب الفرنسى «موريس بوكاى» يعطى على ضوء العلم الحديث تفسيراً لقوله تعالى : **﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا﴾**[1]، فيقول ما خلاصته : إن هذه الآية تعنى ، ان الشمس جرم مضىء بذاته ، والقمر جرم منير بغيره ، ويوضح ذلك بقوله تعالى : **﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى﴾**[2] ، فالمراد هنا أيضاً انعكاس الضوء على الزجاجة كانعكاس نور الشمس على القمر ، ويقارن «بوكاى» بين وصف التوراة للشمس والقمر ووصفهما فى القرآن الكريم فيقول : فى الوقت الذى وصفت فيه التوراة الشمس والقمر بالنيرين مضيفة إلى أحدهما صفة الكبر وإلى الثانى صفة الصغر كان القرآن ينسب إلى كل منهما امتيازات أخرى غير امتياز الحجم ، ولكن كيف نبين لأناس هذا العصر دون أن نوقعهم فى الحيرة والضلال أن الشمس والقمر ليسا نيرين من طبيعة واحدة ؟

الجواب على ذلك يقول «بوكاى» بأن الضياء المنسوب للشمس

---

(١) يونس : ٥ .  (٢) النور : ٣٥ .

مأخوذ من المصدر ومعناه كما يوضح القاموس : أضاء لمع ، أشعَّ ، فالشمس نجم يرسل عن طريق اشتعالاته الداخلية حرارة شديدة كما أن ضوء السراج ناتج عن اشتعال الوقود الداخلى فيه ، فقد وصف الله الشمس بالسراج ، فقال : **﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا﴾**[1] .

ويتابع «بوكاى» فيقول : وهكذا يتقرر لدينا من جديد أن حقائق القرآن الكريم العلمية كما شرحناها تدل جميعها على أن نصوص القرآن الكريم لا دخل ليد البشر فيها وأنها وحى لا شك فيه ، لقد ادهشتنى فى البداية هذه الصورة العلمية الخارقة الخاصة بالقرآن الكريم إلى حد بعيد لأننى لم أكن أظن أبداً أنه يمكن حتى هذا الزمن أن نكتشف فى نص مكتوب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً عدداً من اليقينيات المتصلة بموضوعات شديدة التنوع ومتفقة تماماً مع المعارف العلمية الحديثة ، ولم يكن لدىّ فى البدء أى إيمان بالإسلام ، وقد بدأت باختبار هذه النصوص بموضوعية كاملة وبفكر متحرر من كل حكم مسبق ، وان كان ثمة من تأثير يمكن أن يمارس على فهو تأثير التعليم الذى تلقيته فى شبابى عندما لم يكن الناس من حولى يتكلمون عن المسلمين بل عن المحمديين لصرف فكر السامع إلى أن الدين المتحدث عنه مؤسس من إنسان ، وكنت كالكثيرين فى الغرب يمكن أن أحتفظ بهذه الأفكار الخاطئة عن الإسلام ، والمنتشرة إلى حد بعيد فى أيامنا ، حتى كنت أدهش دوماً عندما أصادف ـ فيما عدا الاختصاصيين ـ محاورين مستنيرين فى

---

(١) نوح : ١٥ ـ ١٦ .

هذه النقاط ، واعترف بأننى كنت شديد الجهالة قبل أن أكوّن صورة عن الإسلام مختلفة عن تلك المعطاة فى الغرب) إنتهى كلام بوكاى .

لقد مشى الإنسان على سطح القمر وكشف حقيقة ما كان يظن أنه ملهم الشعراء والأدباء والكتاب فى قصائدهم ومقالاتهم حيث يتغنون بنوره وجماله وصفائه أو يشبهون من احبوا به كقول الشاعر :

يا من يسائل عن «فوزٍ» وصورتها إن كنت لم ترها فانظر إلى القمر

هذا الوصف أصبح اليوم باهتاً لكون القمر عبارة عن قطعة من تراب وحجر تنعكس عليه أشعة الشمس فينقلها إلى الأرض . على أننا نلفت إلى ما فات «موريس بوكاى» من تتمة الآية : ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ حيث قال الله : ﴿**يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم**﴾ .

لقد ذهب المفسرون القدامى مذاهب شتى فى تفسير هذه الآية ومن الطبيعى أن تختلف أقوالهم لعدم توافر المعطيات العلمية الحديثة لديهم حينذاك ونكتفى بما قاله الحسن : ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا وإنما هو مثل ضربه الله لنوره ولو كانت فى الدنيا لكانت إما شرقية وإما غربية .

وأرى أن الله سبحانه يعنى بنوره : النور الذى خلقه كما نقول : خَلْقُ الله : أى صنع الله إذ ليس من المعقول أن نقول أنه هو نفسه نور وهو خالق النور «ليس كمثله شي» ويشبه الله سبحانه هذا النور

بكلمة «مثل» بالمصباح والزجاجة تقريباً لافهامنا بالمحسوس الذى ندركه ثم يشبه الزجاجة بعد إضاءة المصباح بالزيت الذى يكاد يضئ دون أن تمسه النار (بالكوكب الدرى) لوجه الشبه بينهما من حيث الالتماع والإضاءة ، وحينما وضحت الصورة نفى الله سبحانه وجود الشجرة وزيتها المحسوسين ، فقال : لا شرقية ولا غربية ثم قرر النتيجة بقوله : «نور على نور» وهذا دليل على أن الكوكب الدرى وهو الشمس التى تضىء من دون سائر الكواكب هى مضيئة بذاتها .

# المـاء فى القرآن الكريم

تعددت الآيات التى تذكر الماء فى القرآن الكريم ، ولكن الحقيقة البارزة هى تركيزها على أن الماء أصل الحياة أو هو سببها ، قال تعالى : ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾ ، حيث لا سبيل إلى الحياة بدونه ، وقد ثبت حديثاً بما لا يقبل الشك أن الكواكب التى لا ماء فيها ، لا حياة فيها ، وفى كل مرة من هذا التعدد يقرر القرآن الكريم حقائق جديدة عن الماء تختلف عن تلك المفاهيم التى كانت سائدة قبل عصر النبى بأجيال وفى عصره أيضاً فقد كان الناس فى القرن السابع قبل الميلاد يعتقدون بأن الرياح تدفع مياه المحيط فتسقط على الأرض ثم تتسرب فى التربة ، وإنها تعود بعد ذلك إلى المحيط من خلال هوة كبيرة تسمى «التتار» وكان «افلاطون» من مؤيدى هذا الرأى كما كان «ديكارت» من القائلين به أيضاً ،

وكان «ارسطو» يفترض أن بخار ماء الأرض يتكيف فى فجوات بارزة من الجبال ويكوّن البحيرات الجوفية التى تغذى الينابيع ، ولم تتضح الفكرة عن المياه الجوفية إلّا سنة ١٥٨٠ ميلادية حيث أثبت «برناربالیسی» أنها ناتجة عن تسربات مياه المطر فى التربة .

أما القرآن فقد نظر إلى ذلك نظرة مختلفة ، فقال إن المطر ينزل من السحاب وحدد السحاب الذى يمطر بالمعصرات والركام ،

فقال : ﴿**وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً . لنخرج به حباً ونباتاً . وجنات ألفافاً**﴾ [1] ، وقال : ﴿**ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله**﴾ [2] .

قال بعض المفسرين : إن المعصرات هى الرياح التى تعصر السحاب ، وقال آخرون : إنها السحائب التى تنعصر بالماء ولم تمطر بعد ، فإذا أصبحت ركاماً انصب المطر منها ، ومعنى ركام أى مجتمع بعضها فوق بعض بدليل قوله تعالى : ﴿**وإن يروا كسفا من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم**﴾ [3] أى متراكم بعضه فوق بعض ، وهذا شرط أساسى لنزول المطر قرره القرآن الكريم ، ثم لا يمكن أن يكون هذا التراكم مقصوداً به اللقاح الذى يجعل من السحاب العقيم الذى لا يمطر سحاباً مثقلاً بالماء ، قال تعالى : ﴿**وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين**﴾ [4] ، كما يمكن أن يكون المقصود به نقل الطلع من زهرة أنثى إلى زهرة ذكر لإنتاج الثمر؟

كذلك قرر القرآن الكريم سلوك الماء بعد نزوله من السحاب ودوره فى تكوين ينابيع الأنهار والعيون ، فقال : ﴿**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب**﴾ [5] ، كذلك قرر دور الريح فى إثارة السحاب وحمله إلى الأنحاء فقال : ﴿**والله الذى أرسل الرياح فتثير**

---

(١) النبأ : ١٤ ـ ١٦ .   (٢) النور : ٤٣ .   (٣) الطور : ٤٤ .
(٤) الحجر : ٢٢ .   (٥) الزمر : ٢١ .

**سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾**[1] ،

كذلك أفهمنا الله سبحانه أن السحاب مسخر بين السماء والأرض ، فقال : **﴿وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض إنَّ فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾**[2] .

كذلك قرر القرآن الكريم حقيقة علمية وهى دور الرياح فى حمل السحاب من مكان إلى مكان ، فقال : **﴿والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً﴾** «وهى الآية السابقة» .

ثم الم يسخر الله لسليمان الريح تحمله على بساط هو وحاشيته حيث أراد ، قال تعالى : **﴿فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب﴾**[3] . وهذا إشارة إلى إمكانية استخدام الإنسان للريح بإذن الله وما موجات الراديو واللاسلكى والاتصال بالمراكب الفضائية والتحكم بمسيرها من الأرض إلّا نوع من هذا الاستخدام .

وكذلك تحدث القرآن الكريم عن البحار والأنهار والسفن التى تمخرها والأسماك والحلى التى تستخرج منها ، والبرازخ التى تفصل بينها متناولاً الأشياء الدقيقة التى لم تكن معروفة ، قال تعالى : **﴿وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون . وخلقنا لهم من مثله ما يركبون . وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون . إلّا رحمة منا ومتاعاً إلى حين﴾**[4] ، وقال : **﴿وما يستوى البحران**

(١) فاطر : ٩ .　　(٢) البقرة ١٦٤ .
(٣) ص : ٣٦ .　　(٤) يس : ٤١ .

**هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها﴾**[1] ،

إن آية من آيات الله المنزلة بهذا الشأن جعلت المستر «براون» وهو ربان باخرة كانت تعمل بين بريطانيا والهند يقول : إنى أعتقد أن ما فى القرآن الكريم لم يكن إلّا وحياً من الله تعالى لهذا النبى العظيم ، وقصة ذلك الربان أنه وصلت إليه نسخة من ترجمة القرآن الكريم فعكف على مطالعتها واستوقفه قول الله تعالى : **﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان﴾** إلى قوله تعالى : **﴿وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾** ؟ ولكنه ذهل حينما قرأ قوله تعالى : **﴿أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾**[2] ، ولم يكد ينتهى من قراءتها ، حتى أسرع إلى علماء الهند يسألهم : هل ركب نبيكم محمد البحر وسافر فيه ؟ فأجابوا : كما هو الواقع كلا إن محمداً لم يركب البحر قط ولم يدخل سفينة تجرى فيه فقال : هذا وحى الله أنزله على نبيكم العظيم ، كيف لا وقد أصبح معروفاً الآن أن أعماق البحار والمحيطات أشد ظلاماً من ظلام الليل فعلى سطوحها يبدو نور الشمس ثم يقل تدريجياً حتى إذا بلغ الغاطس فى البحر نحواً من ٤٥٠ متراً اختفى النور كله فلا تكاد تحسه العين ولا تحس العين بعد ذلك شيئاً فى الظلام الدامس .

---

(١) فاطر : ١٢ .

(٢) النور : ٤٠ .

# عالم الملائكة والجن

تقول الرسالة : إن فى السماء والأرض أحياء غير الإنسان ، من ملائكة وجن ، قال تعالى : ﴿**افغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والأرض**﴾[1] ، وقال : ﴿**تُسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإنْ من شىء إلّا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾[2] ، وقال : ﴿**وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون**﴾[3] ،

إن الملائكة أجسام من نور لا يأكلون ولا يشربون وإن الجن مخلوقات من نار وما أطلق الجن إلّا على مستتر خفى .

فسر العلماء قوله تعالى : ﴿**من فيهن**﴾ أنه يريد الملائكة والإنس والجن ، ومن يدرى فقد تتحقق المعجزة وينكشف السر إذا قدر للعلم أن يتابع خطواته حثيثاً فى السماء ولعل «غاغارين» وغيره من رواد الفضاء وهم فى غرفهم الطائرة أقرب الناس تصديقاً بهؤلاء الجنود الكامنين فى السماء والأرض الذين كلفهم الله بمهمات سامية فى الأرض والسماء ، قال تعالى : ﴿ **وأنزل جنوداً لم تروها**﴾[4] ، ولو أنهم اطلعوا على القرآن الكريم لكانوا اسبق الناس فهماً لقوله تعالى : ﴿**وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما**

---

(١) آل عمران : ٨٣ . (٢) الإسراء : ٤٤ .
(٣) الذاريات : ٥٦ . (٤) التوبة : ٢٦ .

**لا تعلمون﴾**[1] ،

وهذا يعنى أن الله سبحانه قادر على أن يخلق الإنسان على صورته الحالية أو على الشكل الذى يريده فيكون الأحياء من الجن والملائكة فى الأرض والسماء على غير الصورة التى نحن عليها وإذا كان الإنسان لم يكتشف نفسه بعد ولم يدر حقيقة بعض ما فيه كالصوت مثلاً ، هذا الصوت الذى ينداح فى الآفاق كما إذا رميت حصاة فى ماء ، فإن الخطوط الدائرية التى تنتج عنها تظل تتسع إلى نهاية الماء ، وكذلك الصوت فإنه يظل سابحاً فى الفضاء إلى ما لا نهاية ، كما أنه لم يدر ما حقيقة روحه التى قال فيها رب العالمين ، **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلّا قليلاً﴾**[2]، فكيف يتسنى له أن يدرك كنه الملائكة والجن الذين هم من عداد مخلوقات الله التى لا تحصى؟ فتبارك الله أحسن الخالقين .

يقول علماء الفضاء : إن التحدث مع كائنات فى عالم الفضاء سيستغرق وقتاً طويلاً ولم نستطع الاتصال فيما بيننا إلّا بالإشارات اللاسلكية التى تنقل بسرعة الضوء ، ولذا فإن رسالة لاسلكية نرسلها من عالمنا الأرضى تستغرق ثلاثمائة سنة لكى تصل إلى أحد نجوم المجرة ، ولكى يصلنا جواب فورى ، علينا أن ننتظر ستمائة سنة ، وان السفر إلى النجوم قد يتم فى المستقبل البعيد فلا شيء أسرع من الضوء ولذا فإن الرحلات ستستغرق قروناً حتى فى أفضل

---

(١) الواقعة : ٦٠ – ٦١ .

(٢) الإسراء : ٨٥ .

المركبات الفضائية المتنقلة بين النجوم .

غير أن البحث يجرى الآن لمعرفة ما إذا كانت هنالك كائنات تتمتع بالذكاء فى أماكن أخرى من الكون ، وما برح علماء الفلك يدرسون الاشارات اللاسلكية التى تصلنا من النجوم ولكنهم لم يستطيعوا أن يكتشفوا حتى الآن ما إذا كانت تتضمن أية رسالة .

وهناك رسالة بشكل صورة فى طريقها الآن إلى الكواكب البعيدة على متن المركبات الفضائية «بايونير» و «فويجر» وكل مركبة أيضاً تحمل اسطوانة مسجلة ، والرسالة اللاسلكية هذه لن تكون بالانكليزية أو غيرها من اللغات بل مجموعة من الاشارات التى تمثل أرقاماً وأشكالاً ، هذا ما يقوله علماء الفضاء فى عصرنا فهل سيساعد العلم على اكتشاف هؤلاء الأحياء المجهولين فى عالمى الأرض والسماء ؟

# اتساع الكون

لقد خلق الله هذا الكون العجيب المدهش ونظمه أحسن تنظيم وزينه ، بالأقمار والكواكب ، وأشار إلى المسافات البعيدة التى تفصل بين هذه الأجرام ، فقال تعالى : **﴿تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾** هذه المسافات تقاس بالسّنة الضوئية ، والسنة الضوئية تمثل المسافة التى يقطعها الضوء خلال سنة واحدة وتقدر بألف مليار كيلو متر .

هذا الكون على سعته ورحابته قابل للإتساع ، قال تعالى : **﴿والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون﴾**[1] .

لقد أثبت العلم الحديث أن السماء التى بناها الله بقوته وقدرته آخذة فى الاتساع فمعظم المجرات آخذة بالإبتعاد عنا فى جميع الاتجاهات وهذا لا يعنى أن مجرتنا تقع فى مركز الكون فإذا كان لديك (بالوناً) تنتشر البقع على سطحه فإن هذه البقع سيبتعد بعضها عن بعض عندما تنفخه ويزداد حجمه وهكذا تتباعد معظم المجرات تقريباً .

يقول : «موريس بوكاى» إن اتساع الكون هو الحدث الأعظم المكتشف من قبل العلم الحديث وإنه لمفهوم أكيد الثبوت والمناقشة

---

(١) الذاريات : ٤٧ .

الوحيدة منصبة على الشكل الذى هو عليه ، ولاتساع الكون نتيجة النظرية النسبية العامة ـ مستند طبيعى فى اختبار صورة المجرات والانتقال النظامى نحو احمرار صورتها ، الأمر الذى يوضح تباعد المجرات بعضها عن بعض وهكذا فإنَّ فسحة الكون فى امتداد مستمر ، ويصبح هذا الاتساع أكثر أهمية كلما ابتعدنا عن أنفسنا ، وان السرعات التى تنتقل بها الاجرام السماوية فى هذا الاتساع المستمر ، يمكن أن تصل إلى رقم سرعة الضوء ، بل وإلى نسب أعلى منها فهل يمكن أن يكون قوله تعالى : ﴿**والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون**﴾ متعرضاً لهذه المفاهيم الحديثة ؟ أليست السماء التى يعنيها القرآن الكريم هى على التحقيق العالم الخارج عن الأرض ؟ ثم أليس كلمة «موسعون» إسم فاعل بصيغة الجمع لفعل أوسع ومعناه بالنسبة للأشياء أفسح ، أمد ، جعله أكثر رحابة وفسحة» ؟ آهـ .

هذا ما يشير إليه القرآن الكريم بالضبط وفى نفس السورة «الذاريات» يقول الله سبحانه : ﴿**وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون . وفى السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أَنكم تنطقون**﴾ [1]

---

(١) الذاريات : ٢٠ ـ ٢٣ .

# الباب الثالث

# لافتات الأرض أو معالم الوحى

# الأرض

أوضحت رسالة الإسلام أن الأرض كروية على شىء من الاستطالة قال تعالى : ﴿**والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها**﴾[1] ،

يقول الشاعر :

ان انس لم انس خبازا مررت به يدحو الرقاق كمثل اللمح بالبصر

إن الأرض التى نعيش عليها لا تختلف كثيراً عن مجموعة الكواكب الشمسية وحجمها يناهز حجم عدة كواكب من هذه المجموعة وهى محاطة بجو مركب من الغازات كمعظم الكواكب الأخرى ، على أنه يوجد فارق مهم بينها وبين تلك الكواكب وهو وجود الماء فيها ، مياه البحار والينابيع والأنهار والسحب التى تحمل الأمطار نتيجة تبخرات المياه الأمر الذى يميزها عن الكواكب الأخرى التى لم تكتشف المختبرات الفضائية أى نوع من الحياة عليها وإذا وجدت أية كائنات حية فهى تختلف تماماً عن كائنات الأرض ، ولهذه الأرض قمر واحد فى حين أن للكواكب الأخرى عدة أقمار أو لا شىء منها وقمرنا كبير نسبياً ويسبب بالجاذبية حركة المدّ والجزر فى البحار والمحيطات الأرضية .

---

(١) النازعات : ٣٠/٣٢ .

وأرضنا هذه متحركة سيارة بدليل قوله تعالى : ﴿**وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شىء**﴾[1] ،

ألا ترى معى أيها القارىء الكريم أن مرّ السحاب هذه تتفق مع النظرية العلمية الحديثة التى تقول بدوران الأرض السريع وضرورة هذه السرعة لبقائها ؟

إن الأرض تدور حول الشمس بسرعة ثمانية عشر ميلاً ونصف فى الثانية وتدور بسرعة أكبر من هذه حول محورها .

كما أوضحت رسالة الإسلام انها سبع ارضين ، قال تعالى : ﴿**الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن**﴾[2] ، وكشفت لنا حقائق لم تكن معروفة لأمد قريب .

لقد قدمنا لمحة موجزة عن الماء ونزوله من السحاب بقدرة الله سبحانه وتعالى ونعود إليه فى بحثنا الأرضى ، فنقدم «موريس بوكاى» الذى يقول بأن القرآن يركز فى كثير من الآيات التى تتعلق بالأرض على أهمية الماء وعلى خصوبتها التى هى ثمرة وجوده على تربتها ، والماء على سبيل التعيين هو فى الأراضى الصحراوية العنصر الأول فى شرط انبعاث الإنسان وحياته ، ولكن ذكر القرآن له يتجاوز هذه الخصوصية الجغرافية إلى إبراز الأرض التى هى الكوكب الغنى بالماء والوحيد فى مجموعة النظام الشمسى حسب معطيات المعارف الحديثة الأحسن ثبوتاً ، ولولاه لكانت الأرض

---

(١) النمل : ٨٨ .
(٢) الطلاق : ١٢ .

نجماً ميتاً كالقمر ، قال تعالى : ﴿**إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها**﴾ ،

وهكذا نجد أن القرآن الكريم أعطى الماء المكان الأول فى عرض الظواهر الطبيعية كما تناول آثاره فى احياء الإنسان والحيوان والنبات والتربة ، وآثاره من برق ورعد ناتجين عن احتكاك الغيوم المثقلة بذرات الماء واللذين يبعثان الهلع فى قلوب الناس من التدمير الذى قد تحدثه الصواعق ، والطمع بما بعد أن به من أمطار وخصب ، ومصداقاً لقوله تعالى : ﴿**وهو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعاً** ..﴾ الآية .

إن فى الأرض كثيراً من الآيات المعجزة وصفها الله سبحانه بقوله : ﴿**وفى الأرض آيات للموقنين**﴾[(١)] .

يقول بعض المفسرين إن فى الأرض علامات تدل على قدرة الله كالخلق والموت والنشور والجبال والبحار والأشجار وعودة النبات إلى الاخضرار بعد صيرورته هشيما ومنها تقديره الأقوات لكل ذى حياة ، قال تعالى : ﴿**وما من دابة فى الأرض إلّا على الله رزقها**﴾[(٢)]

ومنها وجود الماء بنسبة ٧٥٪ بالمئة من البر ومع ذلك فإن البحار والمحيطات لا تفيض على ما حولها إلّا نادراً ، ومنها وجود مادة الأوكسجين الضرورية لبقاء الحياة ، وأرى أن نوم الإنسان ونهوضه

---

(١) الذاريات : ٢٠ .

(٢) هود : ٦ .

من النوم هما صورتان عن الموت فى الدنيا والنشور فى الآخرة ،

وقالت الرسالة بالزوجية فى كل شيء فشملت الحيوان والنبات والجماد قال تعالى : ﴿**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**﴾[1] ويقصد بالزوجين الذكر والانثى .

وقال سبحانه : ﴿**سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**﴾[2] ، من الذرة مثلاً كما يقول علماء الذرة فى عصرنا بتزواج الذرة ،

كذلك أليس رائعاً أن يتحف الإسلام المباحث الجنائية بأقوى الأدلة لاكتشاف الجريمة ؟ ألم يشر إلى بصمات الأصابع وخطوطها الدقيقة المتشابهة التى يختلف بعضها عن بعض متحدياً بذلك منكرى البعث والنشور بالمعجز من صنعه ؟

البصمات هذه كان أول من عرفها الصينيون منذ عدة قرون ولكنهم لم يستخدموها لكشف جريمة أو لتحقيق شخصية كما يجرى فى هذه الأيام وأول من لفت النظر إليها فى العصر الحديث أستاذ تشريح فى احدى الجامعات الألمانية اسمه «ركنجى» ثم طبيب انكليزى اسمه «وليم هرشل» فاثبت عام ١٨٥٨ اختلاف البصمات باختلاف اصحابها كما اثبت «فرانس جلتون» أن هذه البصمات لا تتغير بمرور الزمن ،

قال تعالى : ﴿**أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوى بنانه**﴾[3] أى اطراف أصابعه ، فلماذا لم يقل

---

(١) الذاريات : ٤٩ .    (٢) يس : ٣٦ .

(٣) القيامة : ٣/٤ .

يديه أو عينيه أو أذنيه أو أى شىء آخر من أعضائه وكلها معجزة ؟ فما أعظمك أيتها الأنامل الصغيرة مثلاً للتحدى والاعجاز ، وما أعظم خطوطك الدقيقة الخفية وسيلة للإكتشاف ! !

ولفتت الرسالة انتباهنا إلى معدن من معادن الأرض كان له ولايزال دور رئيسى فى حياة الأمم والشعوب المدنية والعسكرية ، قال تعالى : ﴿**وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**﴾[1] ، أنزل علينا هذه الآية لا لنرتلها ترتيلاً بل لنوجه إلى الحديد اهتمامنا وتفكيرنا فنصنع منه المدفع لحماية الوطن والحراثة لشق الأرض وزراعتها ، والطائرة للانتقال من بلد إلى بلد ، إلى غير ذلك من الآلات التى تساعد على دعم اقتصاد الوطن وتوطيد بنيانه وترسيخ استقلاله ،

وأية معجزة أكبر من هذه التى وعدت بتحقيقها فى الآفاق ؟ ﴿**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم**﴾ مشيرة بذلك إلى أسرار كامنة فى هذا الفضاء الرحب لم نتوصل إلى معرفتها بعد ، وقد اكتشف الإنسان بعضها صوراً وأصواتاً تسبح فى الآفاق على موجات الأثير التقطها بالآلات التى ابتكرها فإذا هى حقائق ثابتة لا يرقى إليها الشك فى متناول أيدينا ، تنعم بها أبصارنا ، وتطرب لها مسامعنا ، فنرى ونسمع رغم الابعاد والمسافات غرائب الدنيا وما يدور فيها من أحداث ، وإلّا فأى شىء فى الآفاق غير إمكانية ما يمور فيها من أصوات وصور ؟ وعدنا الله برؤيتها ؟ الا يعتبر هذا إيحاء من الله

---

(١) الحديد : ٢٥ .

بإمكان اكتشاف ما توصل إليه العلم فى عصرنا ؟

أما الشطر الثانى من الآية ﴿**وفى أنفسهم**﴾ فإن ما يوجد فى الإنسان وهو العالم الأصغر يوجد له مثيل فى العالم الأكبر وحين يوجه الإنسان فكره إلى نفسه ويكتشفها ستتعرى أمامه الأسرار وترتفع عن بصيرته الحجب ، ففى النفس البشرية عوالم مجهولة لا تزال سراً مغلقاً .

ثم ألست ترى معى أيها القارىء أن فى تسخير الرياح لسليمان إشارة إلى امكان التصرف بهذه القوة من قوى الطبيعة ؟ قال تعالى : ﴿**ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر**﴾[1] ، أى سخر لسليمان الريح تغدو فى الصباح إلى انتصاف النهار مسيرة شهر وترجع من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر ، قال تعالى : ﴿**فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب**﴾ .

وما تسخيرنا لموجات الراديو والتلفزيون «أى الشاشة المرئية» واللاسلكى وايصالنا الأوامر إلى المركبات الفضائية والأقمار الصناعية السابحة فى الفضاء إلّا بداية الطريق لاكتشاف الكثير من مخبآت المجهول .

تُرى لو قدر للعرب المسلمين الذين قال فيهم «غوستاف لوبون» : «لولا ما وصل إليه العرب من نتائج واكتشافات لما استطاع العالم «لا فوازييه» أبو الكيمياء الحديثة أن ينتهى إلى اكتشافاته ، وأن مؤلفات أبى القاسم القرطبى فى الطب كانت

---

(١) سبأ : ١٢ .

المصدر الذى استق منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر ،

ونحن نقول إن معلم «لافوازييه» وسواه هو جابر بن حيان أبوالكيمياء عند العرب ومعلمو الطب عند العرب هم معلمو العالم ، كأبى بكر الرازى وابن سينا ، والزهراوى وعلى بن حزم «ابن النفيس» والطبرى وابن الهيثم فى علوم الفيزياء وثابت بن قره أبو علم الحساب ومحمد بن موسى الخوارزمى مؤسس علم الجبر ونصير الدين الطوسى أبو علم الهيئة (الفلك) ، وقد نجح علماء المسلمين فى الموسيقى والترجمة والصيدلة وبرعوا فى كل العلوم ، ولو قدر لهؤلاء أن يتابعوا مسيرتهم الحضارية وثورتهم العلمية الرائدة لكانوا اليوم هم الطليعة

ترى ؟ هل نعيد الكرة ؟

إننى المح فى الأفق علامات مشجعة ، دخاناً يتصاعد من المصانع الفتية الناشئة وشبابا يتحفز للسير فى الطليعة ، وإننا لمنتظرون .

وهناك أشياء كثيرة فى رسالة الإسلام يحار فى تفسيرها العقل بل لا يمكن تفسيرها إلّا فى ضوء العلم لا بأس أن نورد بعضاً منها فى وصف وقائع معينة ستحدث ، قال تعالى : ﴿**يسأل ايان يوم القيامة ؟ فإذا برق البصر ، وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر**﴾[1] ،

---

(١) القيامه : ٦ ــ ١٠ .

وقال تعالى : ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**﴾[١] ،

وقال : ﴿**يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده**﴾[٢]

وقال : ﴿**إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت ، وإذا البحار فجرت ، وإذا القبور بعثرت**﴾[٣]

وقال أيضاً : ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**﴾[٤] .

ما وراء هذه الكلمات ؟ انشقاق القمر ، وانفطار السماء ، وتناثر الكواكب ، وبعثرة القبور ، وخسوف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، وبروق البصر ، وزلزلة الساعة ؟ أهكذا تبدأ النهاية ؟ سؤال نوجهه إلى علماء الذرة والفلك من شرقيين وغربيين علّنا نجد لديهم جواباً على ضوء أبحاثهم وتجاربهم : ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلّا العالمون**﴾[٥]

وهكذا نرى أن رسالة الإسلام تناولت السماء وما فيها ومن فيها من جن وملائكة وكواكب وأبعاد هائلة تفصل بينها واشارت إلى

---

(١) القمر : ١/٢ .　　(٢) الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) الانفطار : ١ ـ ٤ .

(٤) الحج : ١ .

(٥) العنكبوت : ٤٣ .

حقائق علمية فيها كما تناولت الأرض ومن عليها وما عليها من رياح وبحار وغيوم ، وإلى الطيور والحشرات وإلى أصل الحياة فى عالم الإنسان والحيوان والنبات ،

وحسبنا أن نقدم للأطباء الذين يبحثون فى علم الأجنة قوله تعالى : ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون**﴾ [1]

قال بعض المفسرين فى تفسير هذه الآيات ، إن الله سبحانه خلق الإنسان من سلالة (خلاصة الطين) من سللت الشىء أى استخرجته منه ، ثم جعله نطفة فى قرار مكين أى الرحم مدة أربعين يوماً ، ثم جعل النطفة علقة أى دماً جامداً ، وبقى أربعين يوماً كذلك ، ثم جعل العلقة مضغة أى لحمة وبقيت أربعين يوماً ، ثم خلق المضغة عظاماً فكسا العظام لحماً ثم أنشأه خلقاً آخر أى نفخ الروح فيه ،

وقال بعضهم : خلق الله ابن آدم من صفوة ماء استلت من آدم ، وآدم من طين ، ثم كان نطفة فى الرحم وبعد ذلك قطعة من الدم ، ثم اللحم ، ثم العظام ، ثم كسيت العظام باللحم ، ثم نفخت فيه الروح .

---

(١) المؤمنون : ١٢ ـ ١٦ .

وقال بعضهم : خلق الله آدم من تراب ثم خلق ذريته من نطفة (أى منى) ثم من علقة وهو الدم الجامد ، ثم من مضغة وهى لحمة قليلة قدر ما يمضغ ومنه الحديث الشريف «**ألا وإن فى الجسد مضغة** ،» ، وهذه الأطوار أربعة أشهر قال ابن عباس : وفى العشر بعد الأشهر الأربعة ينفخ الروح فيه فذلك عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر» ،

هذه المراحل التى يتكون فيها الجنين فى قرار مكين فى رحم أمه لا تختلف مع العلم الحديث فى شىء ، وقد فصلها القرآن الكريم مرحلة مرحلة وبدقة متناهية ولم يكن يومذاك آلات حديثة ولا أشعة ولا مجاهر يطلع بها الطبيب على سير النطفة فى الرحم فسبحان الله العلى العظيم الذى بيده الموت والحياة وهو على كل شىء قدير وأشهد أن القرآن الكريم وحيه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

# نقصان الأرض

قال الله تعالى : **﴿أو لم يروا انا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾**[1] ،

يحسن بنا أن نذكر ما قاله المفسرون الأقدمون فى هذه الآية ثم نعرض بعض الآراء المعاصرة بشأنها ،

قال ابن عباس ومجاهد : «ننقصها من اطرافها» ، أى بموت علمائها وصلحائها معتبرين الأطراف هم الأشراف .

وقال بعضهم : إن هذا القول بعيد لأن مقصود الآية : انا اريناهم النقصان فى أمورهم ،

وقال عطاء بن رباح : يعنى ذهاب فقهائها وخيار أهلها ،

وقيل : أو لم ير المشركون انا نفتح للمسلمين أرض الكفار أرضاً بعد أرض ،

وقال بعضهم : لو كان المراد بذلك نقص الأرض لضاق عليك «حشُّك» أى موضع قضاء الحاجة ، ثم ختم الله سبحانه الآية بقوله : «لا معقب لحكمه» أى أن حكمه نافذ ليس بمقدور أحد أن يغيره أو يزيد أو ينقص فيه سواه .

ولكى نفهم قوله تعالى ـ ننقصها من أطرافها ـ لا بد من أن

---

(١) الرعد : ٤١ .

نفهم من أى شيء تتركب الأرض ، فقد تكلمنا عنها وقلنا أنها مدحاة (بيضاوية) ومحاطة بجو من الغاز ، وانها تدور حول نفسها ، تنفرد عن الكواكب بوجود الماء والحياة فيها ، وأن لها قمراً كبيراً يسبب المد والجزر فى المحيطات والبحار .

أما داخل الأرض فهو يتركب من طبقة خارجية وهى صفائح من الصخور تبلغ سماكتها ستين كيلومتراً ، ثم من طبقة انتقالية أولى وهى أكثر سماكة من الطبقة الخارجية ، وربما كانت مكونة من صخور منصهرة أو شبه جامدة ، ثم من الغطاء الأعلى وهو مؤلف من صخور صلبة تحت درجات عالية من الضغط والحرارة ، ثم من طبقة انتقالية ثانية وعمقها من ٤٠٠ ـ ٨٠٠ كلم ثم من غطاء أسفل وهى صخور صلبة تحت درجات أعلى من الضغط ثم من اللب المنصهر وهو مؤلف من الحديد والنيكل فى حالة الانصهار ثم من اللب الصلب وهو مؤلف من الحديد والنيكل والكوبلت فى حالة الصلابة وتحت درجات هائلة من الضغط .

أما الأقسام التى يحدث فيها التقلص بفعل الحرارة الباطنية التى تصهر الحديد والمعادن والصخور فهى الأطراف التى هى أقل سماكة من غيرها ـ واطراف الأرض جوانبها ـ

وكذلك يحدث هذا التقلص بفعل الغازات والسوائل التى تصعد إلى أعلى أى من الداخل إلى قشرة الأرض فتحدث تصدعاً وانشقاقاً فيها ثم تبرد وتعود إلى الداخل وتستمر هذه الحركة المتفاعلة داخل الأرض حيث تسبب نقصان الأرض فى أطرافها بسبب التداخل ،

وقد أشار الله سبحانه إلى هذه التشققات والتغيرات التى تحدث فى الأرض بقوله : ﴿**والأرض ذات الصدع**﴾[1] وفسرها الأقدمون بالتشقق فى حينه ،

أما الذين يقولون بأن الأرض تتمدد بتأثير هذه الانصهارات الباطنية مستندين إلى قوله تعالى : ﴿**والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شيء موزون**﴾[2] ، فانهم اخطأوا فهم الآية التى يشير الله سبحانه بها إلى بدء الخلق حيث بسط الأرض ومدها لتكون صالحة للسكن والزراعة ، وثبتها بالرواسى أى الجبال كى لا تميد ولا تنهار بمن عليها وما عليها فقال تعالى : ﴿**والقى فيها رواسى أن تميد بكم**﴾[3] ،

ولذلك يبقى المقصود فى قوله تعالى : ﴿**والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون**﴾[4] هو اتساع السماء وتمددها ، كما يبقى المقصود فى قوله تعالى : ﴿**أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها**﴾ هو تقلص أطراف الأرض ونقصانها ، ثم انه عندما تتوسع السماء وتتمدد الا تصبح الأرض أصغر بالنسبة إلى هذا التوسع ؟

إننى اتمنى لو أن نخبة من العلماء ذوى الاختصاصات المختلفة من جيولوجيين وكيمائيين وأطباء أخصائيين فى علم الأجنة ، والوراثة والنفس والفلك والهندسة والأدب ، والتاريخ ، واللغة ، وعلم الحيوان ، والنبات ، والماء ، والحساب ، وغيرها من العلوم لو أن هذه النخبة تتدارس القرآن الكريم وتستجلى معانيه وتتقصى أهدافه

---

(١) الطارق : ١٢ .　　(٢) الحجر : ١٩ .
(٣) النحل : ١٥ .　　(٤) الذاريات : ٤٧ .

ومراميه إذاً لوجدوا فيه ما يدهش العالم ويثبت أنه وحى الله ،

ادعوهم إلى ذلك لأن الاسلام دعا إلى العلم ، والتعمق فى العلم يدعو إلى الايمان .

قال لورد كيلفن وهو من علماء الطبيعة البارزين : «إذا فكرت تفكيراً عميقاً فإن العلوم سوف تضطرك إلى الاعتقاد بوجود الله» .

وقال العالم (أوليفر وندل) : «كلما تقدمت العلوم ضاقت بينها وبين الدين شقة الخلاف فالفهم الحقيقى للعلوم يدعو إلى زيادة الإيمان بالله» .

هذا وستبقى معجزة القرآن الكريم الأولى الخالدة أبد الدهر هى فصاحته وبلاغته واسلوبه التعبيرى المعجز لأنه كلام رب العالمين .



# الباب الرابع

## تعليق وتساؤل ؟

## ماذا ستحملون إلى السماء يا رواد الفضاء ؟ الرأسمالية ؟

تلك السماء الصافية الهادئة المزينة بكواكبها ونجومها المستحمة بشعاع شموسها وأنوار أقمارها ، المرجعة ترانيم الملائكة وتسابيح الأرواح ماذا ستحملون إليها ؟

لقد أوفدت السماء روادها إليكم مرات ومرات قبل موسى وعيسى ومحمد ، وأرسلت معهم الكثير من تعاليمها لتكونوا بحق خلفاء الله على أرضه ، ولتكونوا كأهل السماء طيبة وصفاء ، وقناعة ، فأبيتم الا أن تغوصوا فى وحول الأرض أحياء وأمواتاً ،

إنكم لم تفتحوا سوى واحد من أبوابها السبعة ، ولا تزال أمامكم أبواب موصدة ومسافات مذهلة ، عبرت عنها رسالة السماء ، فقالت : ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**﴾ ، فماذا تزودتم كى تفتح لكم السماء حبكها

إن العلم وحده لا يكفى ، العلم المجرد عن معانى المحبة والخير والجمال وخشية الله هو طريق فشلكم ودماركم ، قال تعالى : ﴿**إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء**﴾[1] ،

---

(١) الأعراف : ٤٠ .

اتحملون إليها الرأسمالية نظاماً قائماً على المادة والآلة والاحتكار مجرداً عن الروح والخلق تفسدون به السماء وسكانها كما افسدتم الأرض وسكانها ؟

الرأسمالية ؟ بكل طغيانها وانسياقها مع طمع الإنسان ونزعته إلى التملك والاحتكار والتحكم والجشع وكراهية الفقير تلك التى لا يكبح جماحها وازع من دين ولا يشدها إلى الإنسانية رباط .

الا ترونها احتكرت قوت الفقير وامتصت دم العامل ، واستحالت إلى ثروات مكدسة فى صناديق المتمولين واصحاب المصانع والآلات وافرزت فى مجتمعاتكم طبقات متفاوتة ؟

قتلتم فى سبيلها الأبرياء ، واستعبدتم الشعوب ، واقتطعتم أرضاً ليست لكم ولا لآبائكم وأجدادكم لتضموها إلى أرضكم وبلادكم علكم تشبعون نهمكم الذى لا يشبع وطغت فرديتكم فجعلت منكم أناساً يعبدون غرورها ، ويتزلفون إليها فكنتم لها اصناماً من لحم ودم انبعث منها «فرعون» مرة أخرى يهتف من أعماق ذواتكم : أنا ربكم الأعلى ..

# أم تحملون إليها الفردية ؟

ذلك النظام الفردى الذى يسمى «ديكتاتورية» والذى نسميه «الانا» المتحكمة بصاحبها والذين هم فى امرته أو فى مسؤوليته فهو الذى حاربه ويحاربه الإسلام ولذلك كانت تنشئته للفرد مستهدفةً إماتة هذه النزعة فيه وزرع المحبة بدلاً منها فبالمحبة والرحمة والحزم تساس الرعية ولذلك خاطب الله نبيه محمداً ﷺ الذى هو القدوة فى الخلق والسلوك تعليماً لأمته فقال : ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله**﴾[1] ، كما وصف الله الجماعة الإسلامية بقوله ﴿**أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾ ،

لقد وضع الله سبحانه قاعدة الشورى لتجنيب الحكم الاستئثار بالرأى وبالتالى الميل والجنوح عن قاعدة العدل والمساواة ،

لقد تكلمت عن الرأسمالية وجنوحها إلى الجشع والاحتكار والتى تجعل من الإنسان المتمول آلة لا تحس ولا تشعر بما حولها من جوع وفاقة فلا أريد أن يتسرب إلى أذهانكم أن الرسالة الإسلامية تقف موقفاً سلبياً من الملكية الفردية الخاصة ، فقد اقرتها حين

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .

اقتطع صاحب الرسالة بعض الأراضى فى المدينة المنورة ووزعها على أصحابه المهاجرين من مكة ليعمروها ويستثمروها ، وشجعت على تملك الأرض الموات باحيائها بالحرث والزراعة كما اطلقت للفرد حرية التملك ولكن فى حرية موجهة تضمن اقتناعه بأن المال مال الله وأن الأرض أرض الله وأنه مستخلف فيهما ، كما حرصت على بقائه فى حدود الجماعة ، لذلك أمرته بالسعى والعمل ،. قال تعالى : **﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾**[1] وقال محمد ﷺ : «**ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه وإن نبى الله داوود كان يأكل من عمل يده» رواه البخارى** .

ثم إن الرسالة هذبت الفرد المسلم تهذيباً واعياً وجعلته يشعر برقابة الله المستمرة على تصرفاته وأفعاله ، فقال تعالى : **﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾**[2] . وقال رسول الله ﷺ : «**أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» ، ثم زادته ثقة بنفسه ويقيناً بوجوده وأمانته حين اقامته هو نفسه رقيباً على الناس ، قال تعالى : **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾**[3] ، وبعد ذلك أطلقته إلى الجماعة عضواً صالحاً يحمل بين جنبيه ضميراً عادلاً هو القاضى الذى يرجع إليه فى خلواته فيؤنبه على سيئة اقترفها ويشجعه على حسنة فعلها ، وهذه المحكمة التى تنعقد بين جنبيه لا يستطيع أن يهرب منها فى حين يمكن

---

(١) الملك : ١٥ .　　(٢) النساء : ١ .

(٣) البقرة : ١٤٣ .

المرء الهروب من المحاكم الأخرى والفرار من عقوبتها إلى رؤوس الجبال أو بطون الأودية أو أى ملاذ آخر .

وفرضت الرسالة على المسلم المكلف نظام الزكاة لتصحيح الخلل الذى يفرز طبقة الفقراء فى حال الطمع والشح والحرص على جمع المال ، قال تعالى : **﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل﴾**[1] ، ولو طبق المسلمون هذا النظام لما بقى بين المسلمين فقير واحد واحتاطت لما ينتج عن هذا النظام من تواكل وكسل عند المزكى عليهم ، فأمرت بالعمل والسعى ، قال تعالى : **﴿وقُل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله﴾**[2] ، وقال : **﴿فإذا قُضيت الصلاةُ فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله﴾**[3] وقال : **﴿وأنْ ليس للإنسان إلّا ما سعى﴾**[4] كما قال رسول الله ﷺ فى بعض أحاديثه فى العمل والسعى ، «**ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه وإن نبى الله داوود كان يأكل من عمل يده**» ، وفى التواكل قال رسول الله للاعرابى الذى اتاه وقد سرّح ناقته «**اعقلها وتوكل**» وفى المسألة والتسول قال : فى بعض أحاديثه الكثيرة فى هذا الموضوع : «**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم**» .

ذهب عمر بن الخطاب يوماً لزيارة أهل الصفة (وهم جماعة اتخذوا مسجد النبى مأوى لهم يتعبدون فيه ليل نهار) ، فلما صلى بهم

---

(١) التوبة : ٦٠ . (٢) التوبة : ١٠٥ .
(٣) الجمعة : ١٠ . (٤) النجم : ٣٩ .

العصر سألهم ممَّ يعيشون ؟ ، قالوا : إنهم يعيشون على الصدقات فانكر عمر ذلك عليهم وقال : اذهبوا فليس فى الاسلام سولة .

لقد بينت الرسالة للمسلم مكانه فى الأمة ومكانته فيها وافهمته أنه حارس على مصالحها ومرافقها وشؤونها ، حارس لا تنام عيناه ولا يغفل قلبه حين قالت له باصرار (أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك ..)

# أم تحملون إليها الشيوعية ؟

الشيوعية ، تلك التى ابتدعها خيال المصلحين كما يزعمون لكبح جماح الفردية ونصفه الجماعة فأسرفت فى هذه وتلك : «أن يعمل كل بقدر طاقته ، وأن يعطى بقدر حاجته» ، نظام ما كان له أن يعيش لولا ديكتاتورية عنيدة يساندها العلم المادى ومع ذلك لم يقدر له أن ينتشر فى الأرض التى هى مهده .

إن الإنسان ميال بفطرته إلى التملك ﴿**فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**﴾[1] فهو حبة من حبات العقد الذى ينتظم الجماعة فيجب والحالة هذه أن لا يترك فى نفسه أثر للكبت والحرمان وفقدان الشخصية المستقلة حتى لا تكون هذه الحبة سبباً لانفراط العقد وتناثره ، إنه ليس كالآلة يؤمر فيطيع وتحركها الأيدى فتتحرك بل هو إنسان تعصف فى جوانب نفسه رياح الحرية والطموح منذ أن خلقه الله ، فأية مضاضةٍ آلم لنفسه من شعوره بعبوديته لمجتمعه ، ذلك المجتمع الذى يستغل مواهبه وكفاءاته ويدّعيها لنفسه مساوياً بينه وبين البلداء والمغفلين ؟ والبشرية بين هذه وتلك فى حرب باردة تتحول أحياناً إلى حرب حامية وقودها الأبرياء الآمنون ، وهكذا تتوالى على مسرح الحياة اصطدامات مسلَّحة وغير مسلحةٍ فى سبيل

---

(١) الروم : ٣٠ .

بسط النفوذ والسيطرة لتكون أمة أقوى من أمةٍ إلى أن يعود الإنسان إلى ضميره وربه إلى رسالات السماء .

إن الشيوعية هى نظام قائم على المادة المجردة عن الروح بحيث تجعل الإنسان كالآلة أو كغصن جف ماؤه :

وغصن يابس لا ماء فيه     فليس بمثمر عنباً وتيناً

لقد وضع «ماركس» نظريته فى القرن التاسع عشر على مبدأ إلغاء الملكية الخاصة وتمليك المجتمع ، وتعليل ذلك فى نظره أن الرأسمالية أفرزت طبقتين : طبقة قليلة العدد تمسك فى أيديها وسائل الإنتاج والملكية . وطبقة العمال التى لا تملك شيئاً ، وهذا ما جعل النضال مستمراً على مر العصور بين الاقلية «البرجوازية» وبين (البروليتاريا) أى طبقة العمال التى تشكل الأكثرية الساحقة فى المجتمع وفى نظره أن الحل هو مصادرة الملكية الخاصة بحيث يملك المجتمع كافة وسائل الانتاج ويجيزُ لاسمه انتاج الفرد وبهذا قضت الشيوعية على الفطرة السليمة التى فطر الله الإنسان عليها ، كما قضت على طموح الإنسان ومواهبه ، كما قدمنا .

لا أريد أن يتسرب إلى الأذهان بأن الرسالة تقف سلبياً من الجماعة ، فهى لم تهمل أمرها بل وضعت لها قاعدة التعاون بعد أن هذبت الفرد وضمته إليها ، قال تعالى : ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾ [1] ، هذا التعاون الذى يزرع الخير والمحبة ويثمر السلام والرفاهية ويقضى على التسلط والعدوان هو

---

(١) المائدة : ٢ .

الأساس الصالح لبناء المجتمعات الصالحة .

وأمرت بالمصالحة بين المتخاصمين بطريقة تعتبر الذروة لأرقى ما وصلت إليه قوانين الحقوق ، قال تعالى : ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين**﴾[1] .

كما امرت بالحفاظ على العهود والمواثيق بين الأفراد والأمم ، قال تعالى : ﴿**ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا**﴾[2] ، ونهت عن إبرام المعاهدات غير المتكافئة التي يشوبها الغش والدخل واغتنام الفرص فقالت : ﴿**ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ انكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمةٍ**﴾[3] .

وفرضت بالإضافة إلى ذلك مؤتمرات اجتماعية :

يومية : يؤديها المسلم خمس مرات في اليوم والليلة ، فقال تعالى : ﴿**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً**﴾[4] .

واسبوعية : يؤديها المسلم يوم الجمعة من كل اسبوع ، قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾[5]

وسنوية يؤديها المسلم مرة في العمر عند الاستطاعة ، قال

---

(١) الحجرات : ٩ . (٢) النحل : ٩١ . (٣) النحل : ٩٢ .
(٤) النساء : ١٠٣ . (٥) الجمعة : ٩٧ .

تعالى : ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا**﴾[1] ،

فى هذه المؤتمرات يجتمع المسلمون فى مدنهم وقراهم فيتشاورون فيما بينهم ويبحثون شؤونهم وقضاياهم الحياتية فيقومون بالتعاون على إنشاء مشروع أو بناء مدرسة ، أو مصالحة بين المتخاصمين كما أنهم فى الحج يتعارفون ويطرحون مشاكلهم الآنية والمستقبلية على بساط البحث والنقاش وعلى ضوء هذا التفاعل الفكرى يقررون ما فيه جمع كلمة الأمة ورفع كيانها ،

أما مسؤولية الجماعة تجاه الفرد فقد حددتها الرسالة بتصور لا أجد أدق وأكثر شمولاً منه ، فقد قال رسول الله ﷺ «**إن قوماً ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكانى أصنع فيه ما أشاء ، فإن اخذوا على يده نجا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا**» ..

كما أنه من حق الفرد على الجماعة أن ترعاه فى شيخوخته وعجزه عن العمل فقد رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه شيخاً يهودياً ضريراً يسأل الناس ، فقال له ما ألجأك إلى هذا ؟ قال : الجزية والحاجة ، والسن يا أمير المؤمنين ، فأخذ عمر بيده واعطاه ما يكفيه وقال لخازن بيت المال انظر هذا وأمثاله ، فوالله ما انصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخزه عند الهرم ، ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين**﴾ وهذا من مساكين أهل الكتاب وأجرى له راتباً شهرياً .

لقد بدأت الرسالة من البيت لعلمها ان الدروس التى يتلقاها

---

(١) آل عمران : ٩٧ .

المرء فى البيت أبقى فى وعيه وذاكرته من أى درس آخر ، وإن ما تبنيه المدرسة فى عام يهدمه البيت فى يوم فدخلت إليه من هذا الباب باسم الله ، لتضع له قواعد جديدة فى الأدب والسلوك الاجتماعى ولتحدد لكل واحد فى الأسرة دوره ومكانه فى المسؤولية فقال ﷺ : «**كلكم راع ، وكلكم مسؤولة عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسؤول فى رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسؤولية عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده وهو مسؤول عن رعيته ، والولد راع فى مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته ، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» (متفق عليه) .

إن الأبوين مسؤولان عن تربية أولادهما ويترتب عليهما لهم حقوق أهمها العلم ، قال رسول الله : ﷺ : «**حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية ، وأن لا يرزقه إلّا طيباً**» (رواه الحكيم وأبوالشيخ والبيهقى وأشار الطوسى فى الجامع الصغير) . كما عليه أن يعدل بينهم ، قال رسول الله ﷺ : «**إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى فى القبل**» وقال : «**لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات**» .

ويتوجب على الوالد نفقة أهله وعياله قال رسول الله ﷺ : «**دينار انفقته فى سبيل الله ودينار انفقته فى رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على أهلك ، وأعظم أجر الذى أنفقته على أهلك ،**» (رواه مسلم عن أبى هريرة) ، ولا يخفى أن هذه التعاليم تراعى الجانب النفسى للولد بالإضافة إلى الجوانب الخلقية فتبعده

عن الحسد والكراهية والكبت الذى يسببه التمييز بين ولد وآخر ثم يترسب على مر السنين فى نفسه ليصبح مرضاً خطيراً فإذا بلغ الولد رشده وخرج إلى مجتمعه تفجَّر هذا الحقد بالاحتكاك والتعامل وأصيب بشظاياه هو والمجتمع الذى يعايشه ويقابل هذه الواجبات الملقاة على الوالدين واجبات على الأولاد تجاه والديهم اجملها القرآن الكريم فى آية لا أروع ولا أعظم ولا أبلغ منها تنبض بالحب والرفق والرحمة وتنطق بعرفان الجميل قال تعالى : ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلّا إياه وبالوالدين إحسانا أما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**﴾[١] .

إن كلمة اف هذه الكلمة الصغيرة فى قاموس التذمر لا ينبغى للولد أن يتفوه بها فى وجه والديه كيف لا وقد قرنت الرسالة معاملتهما بعبادة الله وتوحيده دلالة على أن الإحسان إليهما فى موازاة العبادة من حيث الأجر والقبول عند الله أما واجبات الرجل تجاه زوجته فالرسالة أوضحتها فى آية كريمة هى الرفق كله والمساواة كلها قال تعالى : ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾[٢] .

إنها مخلوقة من نفس الرجل ، شريكته فى السراء والضراء ، عونه على مصائب الدنيا ، وصنوه فى أفراحها يتقاسمانها على

---

(١) الإسراء : ٢٣ .
(٢) الروم : ٢١ .

السواء ، يسكن إليها فترتاح نفسه من أعباء الحياة وتعب النهار ، وينظر إليها فتسرى فى قلبيهما المودة والرحمة سريان الحياة فى أملود
قال رسول الله ﷺ : «**خياركم خيركم لأهله**» جاء رجل إلى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وهو يومئذ خليفة المسلمين ليشكو إليه خلق زوجته ، فوقف ببابه ينتظر خروجه ، فسمع امرأة من الداخل تستطيل عليه بلسانها ، وهو ساكت لا يرد عليها ، فانصرف الرجل وهو يحدث نفسه قائلاً : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر فكيف حالى ؟ وخرج عمر فرآه موليا فناداه ما حاجتك يا أخى ؟ فقال الرجل يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك زوجتى واستطالتها علىَّ فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟ فقال عمر : تحملتها لحقوق أهلها على ، فإنها طباخة لطعامى خبازة لخبزى ، غسالة لثيابى ، مرضعة لولدى ، وليس ذلك بواجب عليها ، وسكن بها قلبى عن الحرام ، فأنا اتحملها لذلك ، فقال الرجل وكذلك زوجتى ، قال عمر : فتحملها يا أخى ، هى مدة يسيرة .

# وشهد شاهد من أهله

يا رواد الفضاء ، لعلكم تريدون المزيد من أنباء هذه الرسالة التى هى لنا ولكم وللعالم أجمع ، فقد أرسل الله بها محمداً ﷺ للناس كافة قال تعالى : ﴿**وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيراً**﴾[1] ، وقال : ﴿**وما أرسلناك إلّا رحمةً للعالمين**﴾[2] ،

فاسمعوا إذا بعض شهادات أبناء جلدتكم وعمومتكم فى الإسلام ورسول رب العالمين :

قالت مجلة «سيفيلينا كاتوليكا : «أثبت المستشرق الاسبانيولى (هيغل ازان بالأسيوس) أن فلسفتنا المدنية المدرسية مدينة بالشىء الكثير للفلسفة الإسلامية ، وإن «دانتى والقديس توماس داكان» كانا يعيشان فى شبه صلة روحية مع مفكرى الإسلام ، وفى الواقع إن مؤلفات كثير من علماء المسلمين «كالغزالى» بوجه خاص تبعث فلسفتنا الدينية حياة ونشاطاً ، وتوحى إلى تلاميذنا الشبان إيماناً جديداً بقوة الفعل البشرى ، لقد منعنا التعصب من أن ندرس الإسلام ونعرف حقيقته ، أما الآن فقد أدركنا جمال الإسلام ونبل تعاليمه ، ولذلك ندعو إلى التقرب من المسلمين رغبة فى تأييد الفكرة الدينية فى العالم والقضاء على النزعات الالحادية .

---

(١) سبأ : ٢٨ . (٢) الأنبياء : ١٠٧ .

وقال الفيلسوف «برناردشو» لا بد من أن تعتنق الامبراطورية البريطانية النظم الإسلامية قبل نهاية هذا القرن ،

وقال العلامة (ديتوبنورت) إن علوم الطبيعة ، والفلسفة ، والفلك ، والرياضيات ، التى انعشت أوروبا مقتبسة من القرآن الكريم بل أن مدنية أوروبا مدينة للإسلام ،

وقال الفيلسوف والشاعر الألمانى «غوته» إذا قرأ الإنسان القرآن أول مرة رأى فيه شيئاً جديداً لم يألفه من قبل ، وكلما كرر التلاوة ازداد حباً له واعجاباً به وانجذاباً إليه حتى يضطر أخيراً إلى اكباره واجلاله ،

وقال مخاطباً الفيلسوف «كارليل» حينما بيّن له هذا الأخير عظمة الإسلام وروحه العظمى : إذا كان هذا هو الإسلام ألسنا كلنا مسلمين ! فأجابه «كارليل» أجل إن من يحيا بالروح إنما يحيا على الإسلام .

وقال العالم الهندوسى (ت . ل . فوانى) تأملت محمداً ﷺ فتعجبت من هذا الرجل العظيم الذى نشأ بين هؤلاء القوم المختلى النظام العابدى الأحجار هذا الرجل وقف وحده شجاعاً متحدياً غير هياب ولا وجل فى وجه الوعيد والتهديد بالقتل حيت اعتق العبيد وألف بين النبلاء والأشراف والصعاليك المنبوذين حتى صاروا اخواناً وخلاناً ، فمن أين استمد محمد قوة حياته الغالية ؟ ومن أين جاء سر هذه القوة ؟

كانوا اشتاتاً عمتهم الفوضى فألف بين قلوبهم ، وجعلهم أمة واحدة وكانوا غارقين فى التوحش وانقذهم وجعلهم عظماء أقوياء

فى أعين أمم الأرض فصارت الأمة العربية صاحبة القيادة العليا فى التمدن ، وصارت اللغة العربية آخذة بيمينها مصباح الرقى ، والتهذيب العربى الإسلامى هو الذى أنشأ فى آسيا وأوروبا نشأة جديدة وإنسانية جديدة ،

وقال مستر هراس ليف الانجليزى ـ ما كان أشد دهشتى حينما رأيت الشعور بالمساواة على أتمه بين المسلمين فى عيد الفطر فى مسجد (وكنج) فى بريطانيا هنالك وجدت أجناساً من البشر مختلطين على اختلاف رتبهم اختلاطاً لك أن تسميه بحق «اخوياً» ، ولم أكن شاهدت مثل ذلك من قبل فى أى اجتماع دينى آخر ،

وقالت الكاتبة الفرنسية (مدام ريف) لا أكتم انى شعرت بالبون الشاسع بين الدين الإسلامى فى فضائله وكمالاته وبين غيره من الأديان ، فقد كنت امقت كل المانى منذ شاهدت بعينى تلك الشدائد التى قاستها فرنسا فى الحرب الألمانية : أى حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ولكن الروح الإسلامية السامية قهرت تلك العاطفة وجعلتنى أحب الخير للناس جميعاً ،

وقال العالم الفرنسى «هنرى دى كاسترى» ثبت بالحق والصدق أن محمداً لم يقرأ كتاباً مقدساً ولم يسترشد فى دينه بمذهب متقدم عليه ،

وقال «هانوتو» وزير خارجية فرنسا الأسبق فى خطاب له مهيب عن الإسلام والمسلمين : يجب علينا أن ندرس الدين الإسلامى ونبذل جهدنا فى فهمه ، وعلينا أن نتخذ الآية القرآنية : ﴿**لا إكراه فى الدين**﴾ شعاراً لنا لا يخرج عن حدود معناها وأن نحترم الدين

الإسلامى .

ونشرت مجلة «رايدرز دايجست» مقالاً مطولاً لكاتب أمريكى قرر فيه أن الشرق فى طريق نهضة كبرى سوف تقوم على الإسلام ، وأن الإسلام هو أبرز الأديان المؤثرة فى الحياة العامة ، وإذا صح للمستنتج أن يستنتج حوادث المستقبل على ضوء الحاضر فإنى أقول : إن المسلمين ستكون لهم الدولة .

وقال الأستاذ (لينتز) فى كتابه المسمى «ديانات الأمم وعقائدهم» : إن الدين الإسلامى يوافق الأمم كافة ويجعلهم أمة ، وإننى أؤمل أن أرى النصارى بعد حين آخذين بدرس هذا الدين والتدين به وموالاة محمد لأن دينه هو الدين القويم .

وقال الدكتور (شالدريك) الذى اعتنق الإسلام وسمى نفسه خالداً : فتشت كثيراً ، وبحثت كثيراً فى كل ما كتبه السلف والخلف عن الأديان ، ولم أقبل اعتناق الإسلام إلّا عن علم ومعرفة ، فهو خير واقوم دين جاء خاتم الأديان فى مصلحة المجتمع البشرى ورفاهيته ، لقد اجتذبنى الإسلام بسحره ومغناطيسه واحتضننى وأنا ابن (التاميز) أى ابن بريطانيا ، إن عدد المسلمين يزيد يوماً عن يوم وعلى الأخص فى إفريقيا ، وأن الكاتب الكبير الفيلسوف الإيرلندى (برناردشو) أنذر أوروبا وأمريكا بأن الإسلام سيكتسحها فى القريب العاجل ، إن خير طريق لتقدم المسلمين واسعادهم هو الرجوع إلى القرآن الكريم والعمل بما فيه ونبذ التحزب والشقاق بالاتحاد ، وأن الكتلة المجموعة لا تقدر على فصمها اليد الواحدة .

وقال الشاعر اللبنانى رشيد سليم الخورى الملقب بالشاعر

القروى فى خطبة له يوم ذكرى المولد النبوى الشريف فى سان باولو ـ البرازيل ، :

أيها المسلمون أيها العرب ، يولد النبى على ألسنتكم كل عام ويموت فى قلوبكم كل يوم ولو ولد فى أرواحكم لولدتم معه ، ولكان كل منكم محمداً صغيراً ولكان الخلف منذ ألف سنة مسلمين ولكان العالم منذ ألف سنة أندلساً عظيماً ، ولاالتقى الشرق بالغرب منذ زمن طويل ، ولعقدت المادة مع الروح حلفاً شريفاً أبدياً ولمشى العقل والقلب يداً بيد إلى آخر مراحل الحياة ،

أيها المسلمون ، يقول أعداؤكم الأفرنج فى دينكم كل فرية ، ودينكم من بهتانهم براء ، ولكنكم أنتم تصدقون الفرية بأعمالكم ، وتقرونها باهمالكم دينكم دين العلم ولكنكم أنتم الجاهلون ، دينكم دين التيسير ولكنكم أنتم المعسرون ، دينكم دين الحسنى ولكنكم أنتم المنفرون ، دينكم دين النصرة ، ولكنكم أنتم المتخاذلون ، دينكم دين الزكاة ولكنكم أنتم الباخلون ، لقد قال رسول الله ﷺ : «**لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**» ،

يا محمد ، يا نبى الله حقاً ، يا فيلسوف الفلاسفة أجمعين ، وسلطان البلغاء المعربين ، يا نبى الله حقاً ، يا مجد العرب يا مجد الإنسانية ، يا آية الصحراء الكبرى ، لم تقتل الروح بشهوات الجسد تعظيماً للروح ، آياتك آيات الخليقة ودينك دين الفطرة وانى موقن أن الإنسانية بعد أن يئست من كل فلسفاتها وعلومها وقنطت من مذاهب الحكماء جميعاً سوف لا تجد لها مخرجاً من مأزقها وراحة لروحها وصلاحاً لأمرها إلّا بارتمائها فى حضن

الإسلام ، إذ تجد فيه حلاً لمشكلة الحياة والتوفيق بين قوى الإنسان جميعاً جسداً وعقلاً وروحاً ، وعندئذ يحق للبشرية فى مثل هذا اليوم أن ترفع رأسها وتهتف ملء صدرها وبأعلى صوتها :

عيد البرية عيد المولد النبوى      فى المشرقين له والمغربين دوى
عيد النبى ابن عبدالله من طلعت      شمس الهداية من قرآنه العلوى

# الحكم فى الإسلام

يقول العلامة ابن خلدون فى مقدمته :

«لما كانت حقيقة الملك إنه الاجتماع الضرورى للبشر ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من آثار الغضب والحيوانية كانت أحكام صاحبه فى الغالب جائرة عن الحق مجحفة بمن تحت يده من الخلق فى أحوال دنياهم لحمله إياهم فى الغالب على ما ليس فى طوقهم من أغراضه وشهواته ، فتعسر طاعته لذلك وتجىء العصبية المفضية إلى الهرج والقتل فوجب أن يرجع فى ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة ينقادون إلى أحكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الأمم ، وإذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب أمرها ولم يتم استيلاؤها ﴿**سنة الله فى الذين خلوا من قبل**﴾ ،

فإذا كانت هذه القوانين من صنع العقلاء والحكماء كانت سياسة عقلية ، وإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها كانت سياسة دينية نافعة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . لأن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فإنها عبث ولهو وباطل إذ غايتها الموت والفناء والله سبحانه يقول : ﴿**افحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ؟**﴾ [1]

---

(١) المؤمنون : ١١٥ .

فالمقصود بهم إنما هو دينهم المفضى بهم إلى السعادة فى آخرتهم ﴿**صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض**﴾[1] ، فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك فى جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة حتى فى الملك الذى هو طبيعى للإجتماع الإنسانى فأجرته على منهاج الدين ليكون الكل محوطاً بنظر الشارع ، فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب واهمال القوة العصبية فى مرعاها فجور وعدوان ومذموم عنده ، وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها فمذموم أيضاً لأنه نظر بغير نور الله ﴿**ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**﴾[2] ، لأن الشارع الحكيم أعلم بمصالح الناس فى ما هو مغيب عنهم من أمور آخرتهم وأعمال البشر كلها عائدة عليهم فى معادهم من ملك أو غيره ، قال ﷺ : «**إنما هى أعمالكم ترد عليكم**» ، وأحكام السياسة إنما تطلع على مصالح الدنيا فقط ﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾[3] ، ولذلك وجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية فى أحوال دنياهم وآخرتهم ، وكان هذا الحكم لأهل الشريعة وهم الأنبياء ومن قام فيه مقامهم وهم : الخلفاء ـ اهـ ،

ولهذا يسمى الحاكم خليفة أو اماما وهو نائب عن صاحب الشريعة فى حفظ الدين وسياسة الدنيا وقد سمى اماماً تشبيهاً له بإمام الصلاة فى اتباعه والاقتداء به وسمى خليفة لكونه يخلف النبى فى

---

(١) الشورى : ٥٣ .   (٢) النور : ٤٠ .
(٣) الروم : ٧ .

أمته ،

هذه الخلافة تكون بالانتخاب أو التزكية والشورى ، وللمسلم أن يحاسب الخليفة والإمام على أعماله وعلى الحاكم أن يتقبل ذلك كما عليه أن يقبل النصيحة من أى مسلم مهما كان شأنه وأن لا يضيق ذرعاً بها لأنه مسؤول عن جميع المسلمين فى الدنيا والآخرة ،

وها انذا أقدم الحاكمين الأولين فى صدر الإسلام أبابكر وعمر رضى الله عنهما وبيان كل منهما الذى ألقاه فى أول خطبة له بعد المبايعة ورسم فيه الخطوط الكبرى للاصلاحات والأعمال التى سيقوم بها أثناء حكمه وهما شبيهان بالبيانات التى يحكم على أساسها حكام عصرنا ويحظون بثقة المجالس النيابية على أساسها أيضاً ، لنرى مبلغ تحسس الحاكم الإسلامى بالمسؤولية التى يحملها .

## بيان الحكومة الأولى

خطب أبوبكر رضى الله عنه حين بويع ، فقال : «أيها الناس قد وليت عليكم وليست بخيركم ، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فساعدونى ، اطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم ، ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له واضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلّا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلّا عمهم الله بالبلاء» .

فنحن نرى فى بيان حكومة أبى بكر رضى الله عنه الخطوط العريضة لحكمه ،

أولاً : صلاح الحاكم وتجرده .

ثانياً : العمل بمبدأ الشورى .

ثالثاً : إقامة العدالة الاجتماعية .

رابعاً : محاربة الانحلال الخلقى .

خامساً : الجهاد فى سبيل الله ، وهذا يشمل جهاد النفس الأمارة بالسوء وتقويمها

كما شمل حماية العقيدة وإعلاء كلمة الله والانفاق على الأسرة وحماية الأرض والمال والوطن .

# مسؤولية الحاكم

كما نرى من خلال اللهجة المتواضعة فى بيان أبى بكر رضى الله عنه فهمه العميق للمسؤولية ومدى تعاطفه مع الرعية فهو يجعل طاعة الرعية له متوقفة على صلاحه وعدله وتنفيذه أوامر الله ، وهو يشرك الرعية فى الحكم من خلال ترك القول الفصل لها فى كون نهجه صالحاً أو فاسداً ، ثم إنه يضرب لها المثل الأعلى فى الزهد والترفع والابتعاد عن زخرف الحياة والطغيان على مال الدولة ، فقد أصبح فى اليوم الثانى من خلافته غادياً إلى السوق وعلى ساعده ابراد يمانية يبيعها فسأله عمر رضى الله ، أين تريد؟ قال إلى السوق ، قال وتصنع ماذا؟ وقد وليت أمر المسلمين؟ قال فمن أين اطعم عيالى؟ فقال عمر انطلق يفرض لك أبوعبيدة ، فانطلق إلى أبى عبيدة فقال أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم ، وكسوة الشتاء والصيف إذا اخلقت شيئاً رددته وأخذت غيره ، ففرض له كل يوم نصف شاه وما كساه فى الرأس والبطن ومعنى ما كساه أى ناقصاه فى ثمن رأس الشاة وبطنها (رواه ابن سعد) عن عطاء بن السائب (تاريخ الخلفاء للسيوطى صفحة ٥٣) .

دخل أبوبكر رضى الله عنه معتمراً بعد مبايعته فأتى داره وأبوه جالس على باب الدار ومعه فتيان يحدثهم فقيل له : هذا ابنك قد

أقبل فنهض أبوقحافة قائماً ورآه أبوبكر فعجل فأناخ راحلته وهو يقول : يا ابتاه لا تقم ، ثم عانقه وقبله بين عينيه وأبوقحافة يبكى فرحاً بقدوم ابنه الخليفة ، وجاء والى مكة ومعه وفد من كبار القوم للسلام عليه فألقوا عليه سلام الخلافة : السلام عليك يا خليفة رسول الله فبكى أبوبكر حين ذكروا رسول الله عليه وسلم ، ثم سلموا على أبى قحافة ، فقال أبوقحافة لولده : يا عتيق هؤلاء الملأ فأحسن صحبتهم ، فقال أبوبكر «ياابتاه ، لا حول ولا قوة إلّا بالله طوقت عظيماً من الأمر لا قوة لى به ولا يدان إلّا بالله» ثم سأل الناس عن ظلامتهم فما اتاه أحد واثنى الناس على واليهم عتاب بن أسيد .

لقد كان أبوبكر المثل الأعلى للحاكم المسلم فى حياة رسول الله وبعدها ، فقد انفق أمواله على رسول الله وعلى شؤون المسلمين وتيسير أمور الدولة يقول ابن الجوزى فى قوله تعالى : ﴿**وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى**﴾ انه نزل فى ابى بكر واخرج الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (**ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر ، فبكى أبوبكر وقال هل أنا ومالى الا لك يا رسول الله ؟** ،) واخرج ابن عساكر من طرق عائشة رضى الله عنها وعروة ابن الزبير أن أبابكر أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف دينار وفى لفظ أربعون ألف درهم انفقها على رسول الله كما أخرج ابن عساكر عن عائشة أيضاً أن أبابكر أعتق سبعة أرقاء كلهم يُعذب فى الله .

وحين توفى رسول الله ﷺ ارتدت قبائل كثيرة عن الإسلام

وامتنع بعض المسلمين عن أداء الزكاة فقالوا نصلى ولا نزكى ، فنهض أبوبكر لقتالهم وأشار عليه عمر وغيره أن يرجع عن قتال مانعى الزكاة فقال : والله لو منعونى عقالاً أو عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها ، فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله : « أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله ، فمن قالها عصم فى ماله ودمه إلّا بحقها وحسابه على الله» ؟ فقال أبوبكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال وقد قال رسول الله : إلّا بحقها . فقال عمر : فوالله ما هو إلّا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعلمت أنه الحق :

واستمر أبوبكر فى خلافته كمثل أعلى للمسلمين يجاهد من أجلهم بنفسه وماله إلى أن توفاه الله ، اخرج الطبرانى فى مسنده عن الحسن بن على رضى الله عنهما ، قال : لما احتضر أبوبكر قال لابنته : يا عائشة انظرى اللقحة التى كنا نشرب من لبنها ، والجفنة التى كنا نصطبغ فيها ، والقطيفة التى كنا نلبسها فإننا كنا ننتفع بذلك حين كنا نلى أمر المسلمين ، فإذا مت فارددیه إلى عمر . فلما مات أرسلت به عائشة إلى عمر فقال : رحمك الله يا أبا بكر لقد اتعبت من جاء بعدك .

لقد كان أبوبكر يشترى الإبل والخيل والسلاح من ماله فيجعله فى سبيل الله ، وحين توفى دعا عمر رضى الله عنه الأمناء ومنهم عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ودخل معهما فى بيت مال أبى بكر فلم يجدوا فيه شيئاً لا ديناراً ولا درهماً ، لأنه كان يقسم ما فيه

على الفقراء والمساكين بالتساوى حتى يفرغ ،

فالله الله ، شتان بين من يفرغ بيت المال فى جيوبه وجيوب انصاره وازلامه وبين من يفرغه فى جيوب الفقراء والمعوزين وعلى مصالح الأمة .

## بيان الحكومة الثانية

خطب : عمر رضى الله عنه حين ولى الخلافة . فقال :

«أيها الناس ، إنى داع فامنوا . اللهم إنى غليظ فلينى لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقنى الغلظة والشدة مع أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم لهم ولا اعتداء عليهم ، اللهم إنى شحيح فسخنى فى نواب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة واجعلنى ابتغى وجهك والدار الآخرة . اللهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين» .

بهذا وضع عمر رضى الله عنه الخطوط العريضة لحكمه :

أولاً : صلاح الحاكم وتجرده .

ثانياً : اقامة المجتمع الصالح .

ثالثاً : الاقتصاد بمال الدولة وانفاقه فى الوجوه المشروعة .

رابعاً : محاربة الفساد وأهل الدعارة .

خامساً : الرحمة واللين مع المواطن المستقيم تشجيعاً له ، والشدة والحزم مع المواطن المنحرف زجراً له .

أما تحسس عمر رضى الله عنه بالمسؤولية وفهمه لها فإننى أذكر بعض الوقائع بقدر ما يتسع له المقام فحياة عمر مليئة بالعظائم والأعمال الكبيرة والفتوحات الواسعة والآراء الفكرية النيرة

والاجتهادات الدينية السليمة . فبعد أن أسلم على يدى رسول الله قال يا رسول الله ألسنا على الحق ؟ قال بلى . قال ففيم الاخفاء ؟ وكان المسلمون يقومون بعبادة الله سراً خوفاً من أذى المشركين . يقول عمر خرجنا فى صفين أنا فى احدهما وحمزة فى الآخره ، حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش إلى والى حمزة فاصابتهم كآبة شديدة لم يصبهم مثلها فسمانى رسول الله «الفاروق» يومئذ .

اخرج ابن عساكر عن على قال : ما علمت أحداً هاجر إلّا متخفياً إلّا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده اسهماً وأتى الكعبة واشراف قريش بفنائها فطاف سبعاً ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة بعد واحدة فقال : «شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمه وييتم ولده . وترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى فلم يتبعه منهم أحد .» وهذا يعنى أن المسلم مسؤول عن عقيدته أولاً والحفاظ عليها والدفاع عنها ولو بذل فى ذلك ماله ونفسه .

كان عمر شديداً فى الحق لا تأخذه فيه لومة لائم لذلك بدأ خلافته بالقول : اللهم إنى شديد فلينى . وطبق مبدأ الثواب والعقاب على الرعية لا فرق بين كبير وصغير وغنى وفقير وحاكم ومحكوم فأمر أحد الأعراب أن يلطم الملك جبلة بن الأيهم الغسانى كما لطمه وحين قال له جبله ، أنا ملك وهو من السوقة فكيف يضربنى ؟ أجابه عمر : الإسلام ساوى بينكما .

وأمر أحد الأقباط المصريين بأن يضرب ابن عمرو بن العاص بالسوط كما ضربه وقال كلمته المشهورة يا ابن العاص متى استعبدتم

الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحراراً ؟

وكان إذا أمر بشيء أو نهى عنه يجمع أهله أولاً ويقول لهم إني نهيت عن كذا وكذا واقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله إلّا ضاعفت عليه العقوبة .

أخرج ابن سعد عن الأحنف بن قيس قال : كنا جلوساً بباب عمر رضى الله عنه فمرت جارية فقالوا : سرية يا أمير المؤمنين ، فقال ما هي لأمير المؤمين بسرية ولا تحل له ، إنها من مال الله ، فقلنا فماذا يحل له من مال الله قال : إنه لا يحل لعمر من مال الله إلّا حلتين حلة للشتاء وحلة للصيف ، وما أحج به وأعتمر . وقوتى وقوت أهلى كرجل من قريش ليس باغناهم ولا بافقرهم ثم إنا بعد رجل من المسلمين .

وعن زيد بن اسلم عن أبيه قال : أتى عام جدب وقحط فى عهد عمر (عهد الرمادة) فكان إذا أمسى أتى له بخبز قد ثرد بالزيت إلى أن نحروا يوماً جزوراً فاطعمها الناس ، وغرفوا له أطيبها قدراً من سنامها وكبدها ، فقال عمر : أنَّى هذا ؟ قالوا يا أمير المؤمنين من الجزور التى نحرنا اليوم قال : بخٍ بخٍ بئس الوالى أنا إن أكلت أطيبها واطعمت الناس كراديسها ، ارفع هذه الجفنة يا غلام ، وهات لنا غير هذا الطعام ، فأتى بخبز وزيت ، فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز ثم قال : ويحك يا يرفأ (مولاه) أرفع هذه الجفنة حتى تأتى بها أهل بيت بتمنع (مكان تجاه المدينة) فإنى لم آتهم منذ ثلاثة أيام واحسبهم مقفرين فضعها بين أيديهم .

كان عمر أول من عس بالليل لتفقد الرعية والاطلاع على

أحوالهم وشؤنهم الحياتية ، فعن الأوزاعى رضى الله عنه قال : إن عمر خرج فى سواد الليل فرآه طلحة يدخل بيتاً ثم يدخل آخر فلما أصبح الصباح ذهب طلحة إلى ذلك البيت فإذا به عجوز عمياء مقعدة فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدنى منذ كذا وكذا ، يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى . قال طلحة : ثكلتك أمك يا طلحة ، اعثرات عمر تتبع ؟

وقصة الأم الفقيرة التى كانت تضع الحصى فى القدر وتوقد تحتها النار توهم أولادها الجائعين أنها تهيء لهم الطعام وأحس عمر بذلك فحمل كيس الطحين على ظهره وأبى إلّا أن يوقد النار بنفسه وينفخها ليطعم الصغار .

أجل ، إنه عمر بن الخطاب الذى كان يقول : «لو مات جَدْىٌ بطف الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر» ،

عمر الذى كان يحصى أموال عماله وولاته قبل الولاية . ثم يستقدمهم كل موسم من مواسم الحج ليحاسبهم عما زاد . ويحقق هو بنفسه فيما ينقله إليه الرقباء عنهم .

عمر الذى فتح بابه للشكايات من المظالم فكانت طريقته التحقيق أولاً ثم الثواب أو العقاب والمساواة بين أكبر الولاة واصغر الرعية ، فمن ضرب ضرب ومن غصب رد ما غصب ومن اعتدى قوبل بمثل اعتدائه .

عمر بن الخطاب مات مديوناً وقال لابنه بعد أن طعنه فيروز «أبولؤلؤة» يا عبدالله : انظر ما علىَّ من الدين . فحسبوه فوجوده سبعة وثمانين ألفاً أو نحوه قال : إن وفاه مال آل عمر فإنه من

أموالهم ، وإلّا فسل فى بنى عدى بن كعب . فإن لم تف أموالهم ، فسل فى قريش ولا تتعداها إلى غيرهم ،

عمر الذى أرسى قواعد الشورى فى الحكم فأوصى قبل موته بأن يختار المسلمون واحداً من ستة وهم : على . عثمان . وطلحة ، والزبير . وسعد بن أبى وقاص . وعبدالرحمن بن عوف ، فقيل له : لو انك عهدت إلى ولدك عبدالله . فإنه أهل لذلك فى دينه وفضله وقديم إسلامه . فقال : « بحسب آل الخطاب أن يحاسب منهم رجل واحد عن أمة محمد ﷺ ولوددت لو أنى نجوت من هذا الأمر كفافاً لا لى ولا على ، عليكم بهؤلاء الرهط الذين قال فيهم رسول الله انهم من أهل الجنة ، وليدخل معهم ولدى عبدالله مشيراً ولكن ليس له من الأمر شىء» ،

نكتفى بهذا القدر من الأمثلة لينظر حكامنا مواقعهم من الحكم .



# الباب الخامس

# مفاتيح الأرض والسماء

# الوسطية الاقتصادية الإسلامية

إذا كنتم تحبون أن تفتح لكم أبواب السماء والأرض فاحملوا إليها نظام الإسلام الاقتصادى (الوسطية) ،

هذا النظام نحن الذين بشرنا به العالم وطبقنا مفهومه دون أن نسميه إذ أن الرسالة الإسلامية لم تكن فى مضمار العلم بأقل منها شأناً فى مضمار القضايا الحياتية والمعيشية ،

الم يقل رسول الله ﷺ الناس شركاء فى ثلاث : فى الماء والكلأ والنار ؟ (رواه ابن ماجة) ،

ألم يقل فى الأرض الموات من عمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها ؟ (رواه البخارى) ،

لقد وضعت الرسالة الإسلامية قاعدة النظام الوسطى : ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط** ...﴾ الآية ، أى لا افراط ولا تفريط ولا يمين ولا يسار بل الزم الوسط فى أمورك المالية فذهابك إلى اليمين يجعلك محتكراً متسلطاً معرضاً لعقاب الله الصارم فتكوى بما كنزت من ذهب وفضة ، بالمال الذى احببته وادخرته وجهدت فى جمعه ، قال تعالى : ﴿**يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**﴾[1]

(١) التوبة : ٣٥ .

وذهابك إلى اليسار يجعلك عبداً للدولة واجيراً للجماعة لا قدرة لك على التملك لذهاب كل ما تجمعه لها وأنت فى النهاية خامل الذكر والطموح والموهبة ، وهذا مخالف لفطرة الإنسان التى فطره الله عليها ،

الوسطية هذه تقوم على أساسين متينين :

أولها : دينى قائم على الاعتقاد بأن المال لله ونحن قيمون على انفاقه فى الوجوه المشروعة وثانيهما : مادى يتمثل فى الأمور التالية :

أولاً : فى الزكاة التى فرضها الله على المكلفين المسلمين المالكين للنصاب فى كل من الماشية والزروع والثمار والنقود وعروض التجارة ، قال تعالى : ﴿**وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ،**﴾ ويستحق الزكاة أولئك الذين حددهم الله بقوله . ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل**﴾[1]

ثانياً : فى الفىء ، ويراد بالفىء الغنائم التى يكسبها المسلمون من الكفار بالقتال ، كما يراد به الغنائم التى يحصلون عليها من الكفار عفواً ، ويطلق أيضاً على أموال الجزية المفروضة على الأرض المفتوحة عنوة أو صلحاً . قال تعالى : ﴿**ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ، ولذى القربى واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم**﴾[2] .

ثالثاً : فى الغرامات التى تفرضها الدولة الإسلامية على من

(١) التوبة : ٦٠ .
(٢) الحشر : ٧ .

يرتكبون الذنوب أو يخالفون الأحكام الشرعية .

رابعاً : فى الركاز وهو المال المدفون تحت الأرض فضة كان أو ذهباً أو جواهر أو سلاحاً ويؤخذ من واجده الخمس .

خامساً : فى مال المتوفى دون وارث : يؤخذ ماله كله للدولة .

سادساً : فى مال المرتد ، يصبح ماله كله للدولة .

سابعاً : فى الغلول ، وهو ما يكسبه الولاة والعمال وموظفو الدولة عن طريق مراكزهم بدون حق ويؤخذ ملكاً للدولة .

ثامناً : فى اقطاع الأرض المملوكة للدولة حيث يؤخذ من المقطع له (بضم الميم وفتح الطاء) العشر إذا كانت الأرض عربية أو أرض أسلم أهلها يؤخذ زكاة فيما تجب فيه الزكاة العشر وخراج الأرض .

هذه هى الروافد المالية التى تصب فى بيت مال المسلمين وعلى هذين الأساسين قام نظام الوسطية وقام التضامن والتكافل بين المسلمين .

# السـلام

احملوا إليها سلام الإسلام الذى اتخذه المسلمون تحية ، السلام عليكم ورحمة الله ، لا السلام الذى به تتشدقون وفى سبيله تتصارعون كتلاً واحلافاً :

| | |
|---|---|
| تنشدون السلام قولاً ، وفعلاً | تتوارى بسركم أشياء |
| لن يعيش السلام فى الأرض حتى | يتساوى الضعاف والأقوياء |
| إن طرحتم من الحساب قيوداً | من اذاها يولول الضعفاء |
| أو نزعتم من القلوب حقوداً | يتلقى شرورها الأبرياء |
| أو هدمتم من البلاد حدوداً | رسمتها مطامع نكراء |
| إنما الذّرة التى ترعب الناس | بغير الوئام شىء هباء |
| فكرة الخير ديمة أين حلت | حلَّ فى الأرض خيرها والصفاء |

إن السلام الحقيقى هو فى الإسلام ، قال تعالى : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[1] ،

الإسلام الذى هو تسليم لله وانقياد لحكمه وإيمان به وبعقابه على السيئات وثوابه على الحسنات فى الحياة وفى الممات ، وبقدرته على كل شىء والذى هو تأمين الناس على دمائهم وأموالهم واعراضهم

---

(١) المائدة : ٣ .

وحرياتهم قال رسول الله ﷺ «**أشرف الإيمان أن يأمنك الناس ، وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من يدك ولسانك**» ،

إنه السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف ،

السلام الذى يلقى الأمن فى النفوس فتستقر وتطمئن وتشعر أنها مع إنسان مسالم وفى ديار آمنة مطمئنة ،

سلام لا ضعف فيه ولا استسلام لغير الله ، قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾[1] ، وقال : ﴿**وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾[2] ، وقال سبحانه : ﴿**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**﴾[3] .

إنه السلام المستعد المتأهب للذود عن مبادئه ودفع الأذى والعدوان عن ساحته واتباعه ، قال تعالى : ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**﴾[4]

سلام يرحب بالعفو عند المقدرة ، وبالإحسان بدل الإساءة ،

هذا هو السلام الأصيل الذى ينبع منه الشعار القائل :

«نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا .» فمتى يفهم الشرق والغرب حقيقة الإسلام ؟

نكره الشرق إذا الشرق اعتدى    نكره الغرب إذا الغرب اساء
هذه للحب أيدينا فمن    شاء عهداً لا يرى إلّا الوفاء

---

(١) البقرة : ٢٠٨ .    (٢) البقرة : ١٩٠ .
(٣) الأنفال : ٦١ .    (٤) فصلت : ٢٣ .

إنه دعوة عامة إلى وحدة الجنس البشرى كله فى نداء شامل كريم : ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم**﴾[1] ، دعوة عامة لم تميز قوماً عن قوم وجنساً عن جنس «أيها الناس» ولم تخص مسلماً ولا مسيحياً ولا يهودياً بل أهابت بالجنس البشرى كله أن يتحد ويتعارف لما فيه خيره وبقاؤه ،

وهو دعوة خاصة إلى أمة عربية متماسكة الأواصر متحدة الآراء والأهداف قال تعالى : ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون**﴾[2] ،

أمة شعارها الاخاء ـ إنما المؤمنون إخوة ـ الاخاء الحقيق الذى لا يستبدل الروح بالمادة والعدل بالظلم ، والنظام بالفوضى ، والرحمة بالقسوة ، والمحبة بالكراهية ،

أمة شعارها الوحدة والتوحيد : لا إله إلّا الله محمد رسول الله ،

كتابها واحد وإلهها واحد ، ورسولها واحد ، وكعبتها واحدة ، وواجباتها واحدة ، لا فضل لأحد أبنائها على الآخر إلّا بقدر ما يقدم لنفسه ولها من عمل صالح «**لا فضل لعربى على أعجمى إلّا بالتقوى**» ،

خطب النائب البرلمانى البريطانى (المستر جورج بروك) خطبة ألقاها فى مدينة (برفورد) فى انكلترا ، قال فيها : إن الإسلام دين عالمى بطبيعته ، إن الإسلام دين السلام والمحبة بين البشر ، وإنه

---

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) المؤمنون : ٥٢ .

يلعب دوراً خطيراً فى شؤون العالم ، وانى اعتقد أن خطورته وتأثيره فى مستقبل العالم سيزداد جيلاً بعد جيل .

# المســـاواة

احملوا إليها المساواة التى كرسها الإسلام قولاً وفعلاً فى فريضة يومية خمس مرات كل يوم وليلة وفى فريضة سنوية تجمع المسلمين فى صف واحد فلا كبير ولا صغير ولا غنى ولا فقير ولا أسود ولا أبيض فالناس كلهم سواسية كأسنان المشط ،

المساواة التى تحترم الإنسان أياً كان وحيثما كان قال تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن﴾**[1] ،

بل أى شىء يحث على المساواة أوقع فى النفس من قول صاحب الرسالة لامرأة عربية ارتعدت خشية من لقائه «**هونى عليك ما أنا بجبار ولا ملك إنما ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد**»؟

حدث أبوذر الغفارى رضى الله عنه فقال : سابيت رجلاً فعيرته بأمه فعاتبنى النبى ﷺ فيه ، فقال : **يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ، أخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم**» .

أين هذا كله من العنصريين ، أولئك الذين يميزون الأبيض على

---

(١) الحجرات : ١١ .

الأسود لا بالعمل المثمر البناء ولا بالخلق النبيل ، بل بالشكل واللون الذى لا حول للإنسان فيه ولا طول ، فالأبيض والأسود والأصفر والأحمر ، كلهم لآدم وآدم من تراب ،

قال البروفيسور «الدكتور ف . ف . بارتولد» السوفياتى ، لقد أثبت الإسلام خلال مئات السنين والأعوام قدرته على البقاء وضرب المثل الأعلى فى الاخاء والمساواة بصورة يتفوق معها على ما حققه الدين المسيحى فى هذا السبيل ولهذا لا يمكن لأى دين آخر مزاحمة الدين الإسلامى أو التقدم عليه .

# العــدل

احملوا إليها عدل الإسلام ، لا شريعة الغاب وغدر الذئاب والعدل الأبتر الذى لايزال يتلمس طريقه إليكم ،

العدل الذى عرفتموه قوةً تكبل الضعيف وثراءً يستنزف دم الفقير وانكاراً لحق الشعوب الضعيفة فى الحياة وعرفناه قانوناً إليهياً يرد الحق إلى فاقديه وينتزعه لهم من غاصبين ، قال تعالى **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾**[1] ،

**﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾**[2] ،

العدل الذى لا يميز بين حاكم ومحكوم ، وغنى وفقير ، واسود وأبيض ، وعدو وصديق ، قال تعالى : **﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألَّا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾**[3] ،

العدل الذى تمازجه الرحمة استلهمه قوادنا فى فتوحاتهم فما تركوا أعدل منهم حتى قال فيهم أحد المؤرخين : لم يعرف التاريخ فاتحاً أعدل من العرب .

رحمة لم تقتصر على الإنسان بل تعدته إلى الحيوان .

حدث رسول الله أصحابه فقال : «**بينما رجل يمشى بطريق** ،

---

(١) النساء : ٥٨ .   (٢) النحل : ٩١ .   (٣) المائدة : ٨ .

**اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب فحمد الله ، ثم خرج وإذا بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى ، فنزل البئر ، فملأ خفه ماء ثم امسكه بفيه حتى رقى ، فسقى الكلب ، فشكر الله تعالى فغفر له ، فقالوا : يا رسول الله وإن لنا فى البهائم لأجرا ؟ قال فى كل كبد رطبة أجر»** ،

أين دعاة الرفق بالحيوان ؟ بل أين هم دعاة حقوق الإنسان ؟

كما أن لصاحب الرسالة رأياً خا صاً فى العدل ، هو أن تنصر الظالم والمظلوم على السواء ، فقد قال : « **انصُر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قالوا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال تحجزه عن الظلم فذى ذاك نصره»** ،

وأى تهديد للظلم والظالمين من سوء العاقبة والمصير الأسود الذى ينتظرهم ، قال تعالى : **﴿وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾**[1] ، وقال رسول الله ﷺ : **«اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»** .

ألا إنها رسالة الحق والعدل الذى لا يتغير ولا يتجزأ ولا يتجنس أكان فى ديار البيض أم فى مواطن الزنوج ؟

«ليس فى شرعة الإله طغاة ، وامتياز لبيض جلد وسودِ ،
واعتدَاد بطيب أصل وفرع ، إنما الفضل للتقىّ الرشيد .»

---

(١) الشعراء : ٢٢٧ .

# الحريــــة

... احملوا إليها الحرية القائمة على العدل لا الحرية القائمة على الظلم ، الحرية المكمومة الأفواه ، المثخنة بالجراح ، المثقلة بالقيود رأيناها فى الجزائر ، وعمان ، والكونغو ، وجنوب إفريقيا ، وفى كثير من البلاد المغتصبة ، المغلوبة على أمرها ،

بل رأيناها فى فلسطين ، وفى خيام اللاجئين المشردين ،

إن السماء لتهزأ بكم وبدعواتكم المزيفة حيث تعلنونها باسم الشعوب ومساعدتها وهى فى الحقيقة الطعم المهيأ لاقتناصها .

دعوة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، ظاهرها مساعدة الشعوب المستضعفة ، وباطنها استعمار هذه الشعور واستثمار مواردها ،

إن السماء هى التى حررت الإنسان من قيود السيطرة والاستغلال ولم تجعل لرسلها سلطاناً على الناس لحملهم على ما تريد ويريدون بل قالت لمحمد ﷺ : «**إن عليك إلّا البلاغ**» وقالت « **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** » وقالت : **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** »[(١)]

إن دعوة الإسلام إلى الحرية دعوة عملية حقيقية لا مجرد كلام وادعاء .

---

(١) يونس : ٩٩ .

فالقتل خطأ كفارته : تحرير رقبة
والحنث بالأيمان كفارته : تحرير رقبة
والافطار عمداً فى رمضان كفارته تحرير رقبة
والاحسان ذروته : تحرير رقبة
ومعظم الذنوب كفارتها : تحرير رقبة

هذا فى حين كان الرق أمراً مستساغاً وتجارة رابحة ، يباع الإنسان فيها ويشرى كالبهائم ، فجاءت رسالة الإسلام لتحرر العبيد ، وتعيد إليهم اعتبارهم الإنسانى .

قال تعالى : ﴿**فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة ؟ فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة**﴾ ومعنى فك رقبة أى تحرير عبد من عبوديته للإنسان ، لا كسرها واخضاعها لنير الاستبعاد ،

قال تعالى : ﴿**ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة**﴾[1]

وقال تعالى : ﴿**لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة**﴾[2] ،

وهى حرية فى القول كما أنها حرية فى العمل .

«قل الحق ولو على نفسك» ،

«إذا رأيت أمتى تهاب الظالم أن تقول له إنك ظالم فقد تودع منها»

«أحب الأعمال إلى الله كلمة حق تقال عند سلطان جائر» ،

---

(١) النساء : ٩٢ .
(٢) المائدة : ٨٩ .

«خطب عمر بن الخطاب يوماً فقال : أيها الناس من رأى منكم فىّ اعوجاجاً فليقومه» فنهض أحد الأعراب شاهراً سيفه وقال : والله يا عمر لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقوَّمناه بسيوفنا ، فقال عمر وهو خليفة المسلمين يومئذ : الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوِّم اعوجاج عمر» .

## كلمة أولى إلى أبناء الرســالة

يا أبناء الرسالة :

ها هى صواريخهم ومركباتهم الفضائية تعبر الأجواء وتخترق الفضاء ، وتوشك أن توجد لهم مقراً فى السماء ، وأنتم لا تكادون تجدون مكانكم على الأرض ، منكم المشردون النازحون ، ومنكم المضطهدون المستضعفون ، ومنكم الخائفون الصامتون ،

أيتها النسور المكبلة الأجنحة ، مكانك الذروة لا الحضيض ، هنالك على أبواب «فرنسا» و «الصين» و «الهند» لأجنحتك الملونة ألف ظل وظل .

ألم يساورك الحنين إلى الذرى ؟

أراك تطبقين الأجفان ثم لا تثورين على الأغلال !

لم يستبد بك «البغات» إلّا حين توحد وتفرقت ، وآمن بالعلم وجهلت وشمر للعمل وقعدت ، فاستنسر البغات ، وحطم الحدود والمسافات وفجر كوامن الطبيعة وأسرارها .

أيتها النسور المستكينة ، الفرقة فى جبينك ذل ، وفى أجنحتك هوان ، ناطقة فى عملك الزمن الرتيب ، شاهدة فى جدلك الغريب العجيب ،

هذا أخطأ وذاك أصاب ،

سنى وشيعى ودرزى

هكذا تتنابذين ،

وبذلك تتخلفين عن مواكب النور ،

الجوهر واحد والهدف واحد أن يكون بين ضلوعك روح يشدك إلى الشمس وأن تكون مناقيرك معاول تبنى ولا تهدم تعمر الأرض ولا تفسدها . وكما أن الأرض لا يرثها إلّا الصالحون لعمارتها فكذلك السماء .

لقد كبلت الأحقاد الأجنحة ، وعقل الخوف الألسنة فلا تتحركين قيد أنملة إلى ما هو أفضل ، ولا تقولين بصراحة كلمة حق فى وجه سلطان جائر ، حتى الريشة المعوجة فى قوادمك لا تقومينها ،

أيتها النسور التى كانت تدغدغ أجفانها رقصة الشمس ،

ارتفعى عن سفاسف الأرض فلن يطالك البغات ،

ارتفعى بجراحك النازفة فلن تنهشك ديدان الأرض .

أليست العزة الموعودة لك ؟ «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» ؟

أليست النخوة دمك الذى يغلى ؟

أما كنت خير أمة اخرجت للناس ؟ فلماذا أصبحت أذل أمة بين الناس ؟

حطمى الأغلال يا نسور ، لا تشغلنك توافه الحياة عن جوهرها ، ولتكن المحبة التى تجمع ولا تفرق تبنى ولا تهدم تعز ولا تذل ، سبيلك إلى الحياة هادراً ملء كيانك نداء الله متيناً فى قبضتيك حبل الله ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ ،

لست انكر أن جماعات منك بدأت تستيقظ وتدخل إلى الحياة بقوة وتصميم ، وتحررت من أنانيتها ثم حطمت قيود الاستعمار التى تعيق زحفها المقدس .

إنها فى اقطار مختلفة من دنيانا الواسعة شرعت اجنحتها لتدغدغ بقوادمها الجبارة وجه النجوم ، وشمرت عن سواعدها السمراء كى تستحم بزيوت المعامل والمصانع ، هؤلاء الذين رفعوا رؤوسنا من التراب وفتحوا أعيننا على الأمل هؤلاء المتحررون نهتف فى مسامعهم :

راشت جوانحكم فما أحلى الذرى　　إن مسّها بعد الخراب جناح

أما الذين فى قلوبهم مرض ، وعلى أبصارهم غشاوة . أما الخونة المارقون ، فأولئك الذين يقيمون أمجادهم الشخصية على حساب أمتهم وكرامتها ، الذين يمالئون الأجنبى كى تسلم لهم أمجادهم الزائفة .

المارقون ، فأولئك الذين يقيمون أمجادهم الشخصية على حساب أمتهم وكرامتها ، الذين يمالئون الأجنبى كى تسلم لهم أمجادهم الزائفة .

**﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾** [1] ،

أولئك الذين نصفع وجوههم بقوله تعالى : **﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾** [2]

(١) البقرة : ١٦ .
(٢) البقرة : ١١ ـ ١٢ .

أما الخائفون الصامتون المستسلمون للذل والقيد الذين أبوا أن يروا من الحياة إلّا جوانبها المادية فانساقوا وراء سرابها الخادع فأولئك الذين نصرخ في وجوههم :

﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾[1]

الحق رهن يمينكم فتحرروا    إن التحرر وحدة وكفاح

(١) الرعد : ١١ .

# وكلمة أخيرة إلى رواد الفضـــاء

وأخيراً يا رجال العلم ورواد الفضاء ..

لقد وهبتكم السماء عقولاً انرتموها بالعلم فأعطيتم البشرية خير وشر ما تعطون ،

اعطيتموها الدواء للمرض ، والنور للظلمة ، والحياة للموات ، والرفاهية التى لا تحد ، فادنيتم البعيد ، وسهلتم العسير ، وانطقتم الخيال ، وحققتم المحال ، ولكنكم اعطيتموها الذرة التى تدمر كل شىء أتت عليه تدميراً ، فهل لكم أن تعطوا الأرض من عطاء السماء ، فلا يكون فيها فتن ولا شرور ولا تنافس على السيطرة والغلبة لتكون أمة أقوى من أمة ؟

ليس بعيداً بعد أن ادركتم القمر وحطت عليه سفنكم ومشيتم على ترابه الرمادى أن تفتحموا مجاهل أخرى وأن تركزوا راياتكم فى أعماق الفضاء فرسالة الإسلام لا تنكر ذلك لأن دعوتها إلى هذه الرحلة أسبق من دعوتكم بخمسة عشر قرناً ،

إنها لا تستغرب انتصاراً مصدره العلم والعلماء ، بل تجد فى ذلك تحقيقاً لدعوتها التى اهملناها واستجبتم لها فكان لكم فضل السبق ومجد الاكتشاف ولنا خيبة الأمل ومرارة الحرمان ، ولم يتخلف ابناؤها عنكم الا لأنهم انحرفوا عن خطوطها واتبعوا

اهواءهم خلافاً لما يساور نفوسكم من شك ويرتسم على وجوهكم من تساؤل ، والبرهان التاريخى الذى لا يمكنكم انكاره مازال قائماً فى جزيرة العرب وفى ربوع الأندلس ، وعلى تخوم فرنسا والهند والصين يوم أن نهض العرب وتخلفتم .

لقد وصلتم إلى القمر وربما وصلتم إلى أبعد من القمر ولكنكم لم تصلوا بعد إلى نفوسكم فتعرفوا الإنسان الكامن فيها ، الإنسان الذى عرفته رسالة الإسلام فاقامته خليفة الله على الأرض ، ولو عرفتموه حقاً ، لفجرتم الصواريخ وحطمتم الذرة وهتفتم من الأعماق آمنّا برسالة الإسلام ، وبحرية الإنسان وبكرامة الإنسان .

# المراجـــع


- القرآن الكريم .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبدالباقى .
- الجامع الصغير : للسيوطى .
- اسنى المطالب فى أحاديث مختلفة المراتب : الشيخ محمد درويش الحوت
- التوراة والانجيل والقرآن والعلم : موريس بوكاى .
- المئة الأوائل : مايكل هارث .
- صفة الصفوة : ابن الجوزى .
- تاريخ الخلفاء : للسيوطى .
- العقد الفريد : إبن عبد ربه .
- مقدمة إبن خلدون : العلامة إبن خلدون .
- الإنسان والفضاء : نيل اردلى .

# الفهرس

# صدر من هذه السلسلة

| الكتاب | المؤلف |
| --- | --- |
| ٢٣ ـ الأقليات المسلمة فى آسيا وأستراليا | [ الأستاذ سيد عبد المجيد بكر ] |
| ٢٤ ـ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر | [ الدكتور عدنان محمد وزان ] |
| ٢٥ ـ الإسلام والحركات الهدامة | [ معالى عبد الحميد حموده ] |
| ٢٦ ـ تربية النشء فى ظل الإسلام | [ الدكتور محمد محمود عمارة ] |
| ٢٧ ـ مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى | [ الدكتور محمد شوق الفنجرى ] |
| ٢٨ ـ وحى الله | [ الدكتور حسن ضياء الدين عتر ] |
| ٢٩ ـ حقوق الإنسان وواجباته فى القرآن | [ حسن أحمد عبد الرحمن عابدين ] |
| ٣٠ ـ المنهج الإسلامي فى تعليم العلوم الطبيعية | [ الأستاذ محمد عمر القصار ] |
| ٣١ ـ القرآن كتاب أحكمت آياته [٢] | [ الأستاذ أحمد محمد جمال ] |
| ٣٢ ـ الدعوة فى الإسلام عقيدة ومنهج | [ الدكتور السيد رزق الطويل ] |
| ٣٣ ـ الاعلام فى المجتمع الإسلامى | [ الأستاذ حامد عبد الواحد ] |
| ٣٤ ـ الإلتزام الدينى منهج وسط | [ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ] |
| ٣٥ ـ التربية النفسية فى المنهج الإسلامى | [ الدكتور حسن الشرقاوى ] |
| ٣٦ ـ الإسلام والعلاقات الدولية | [ الدكتور محمد الصادق عفيفى ] |
| ٣٧ ـ العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية | [ اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ ] |
| ٣٨ ـ معانى الأخوة فى الإسلام ومقاصدها | [ الدكتور محمود محمد بابللى ] |
| ٣٩ ـ النهج الحديث فى مختصر علوم الحديث | [ الدكتور على محمد نصر ] |
| ٤٠ ـ من التراث الاقتصادى للمسلمين | [ الدكتور محمد رفعت العوضى ] |
| ٤١ ـ المفاهيم الاقتصادية فى الإسلام | [ د. عبد العليم عبد الرحمن خضر ] |
| ٤٢ ـ الأقليات المسلمة فى أفرقيا | [ الأستاذ سيد عبد المجيد بكر ] |
| ٤٣ ـ الأقليات المسلمة فى أوروبا | [ الأستاذ سيد عبد المجيد بكر ] |
| ٤٤ ـ الأقليات المسلمة فى الأمريكتين | [ الأستاذ سيد عبد المجيد بكر ] |

| الكتاب | المؤلف |
| --- | --- |
| ٤٥ ـ الطريق إلى النصر | [الأستاذ محمد عبد الله فوده] |
| ٤٦ ـ الإسلام دعوة حق | [الدكتور السيد رزق الطويل] |
| ٤٧ ـ الإسلام والنظر فى آيات الله الكونة | [الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى] |
| ٤٨ ـ دحض مفتريات | د . البدراوى عبد الوهاب زهران] |
| ٤٩ ـ المجاهدون فى فطانى | [الأستاذ محمد ضياء شهاب] |
| ٥٠ معجزة خلق الإنسان | [د . عبد الرحمن عثمان] |
| ٥١ ـ مفهوم القيادة فى إطار العقيدة الإسلامية | [الدكتور سيد عبد الحميد مرسى] |
| ٥٢ ـ ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربى والماركسى | [أنور الجندى] |
| ٥٣ ـ الشورى سلوك والتزام | [د . محمد أحمد البابلى] |
| ٥٤ ـ الصبر فى ضوء الكتاب والسنة | [أسماء عمر فدعق] |
| ٥٥ ـ مدخل إلى تحصين الأمة | [د . أحمد محمد الخراط] |
| ٥٦ ـ القرآن كتاب أحكمت آياته | [الأستاذ أحمد محمد جمال] |
| ٥٧ ـ كيف تكون خطيباً | [الشيخ عبد الرحمن خلف] |
| ٥٨ ـ الزواج بغير المسلمين | [الشيخ حسن خالد] |
| ٥٩ ـ نظرات فى قصص القرآن | [محمد قطب عبدالعال] |
| ٦٠ ـ اللسان العربى والاسلامى معاً فى مواجهة التحديات | [الدكتور السيد رزق الطويل] |
| ٦١ ـ بين علم آدم والعلم الحديث | [الأستاذ محمد شهاب الدين الندوى] |
| ٦٢ ـ المجتمع الإسلامى وحقوق الإنسان | [الدكتور محمد الصادق عفيفى] |
| ٦٣ ـ من التراث الاقتصادى للمسلمين ٢ | [د . رفعت اعوضى] |
| ٦٤ ـ تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد | [الستاذ عبد الرحمن حسن حبنكه] |
| ٦٥ ـ لماذا وكيف أسلمت | [الأستاذ أحمد سامى عبد الله] |
| ٦٦ ـ أصلح الأديان عقيدة وشريعة | [الأستاذ عبد الغفور عطار] |
| ٦٧ ـ العدل والتسامح الإسلامى | [الأستاذ أحمد المخزنجى] |
| ٦٨ ـ القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ٤ | [الأستاذ أحمد محمد جمال] |
| ٦٩ ـ الحريات والحقوق الإسلامية | [محمد رجا حنفى عبد المتجلى] |
| **٧٠ ـ الإنسان الروح والعقل والنفس** | **[الدكتور نبيه عبدالرحمن عثمان]** |
| **٧١ ـ تأملات قرآنية** | **[الدكتورة عصمت الدين كركر]** |



مطابع رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة